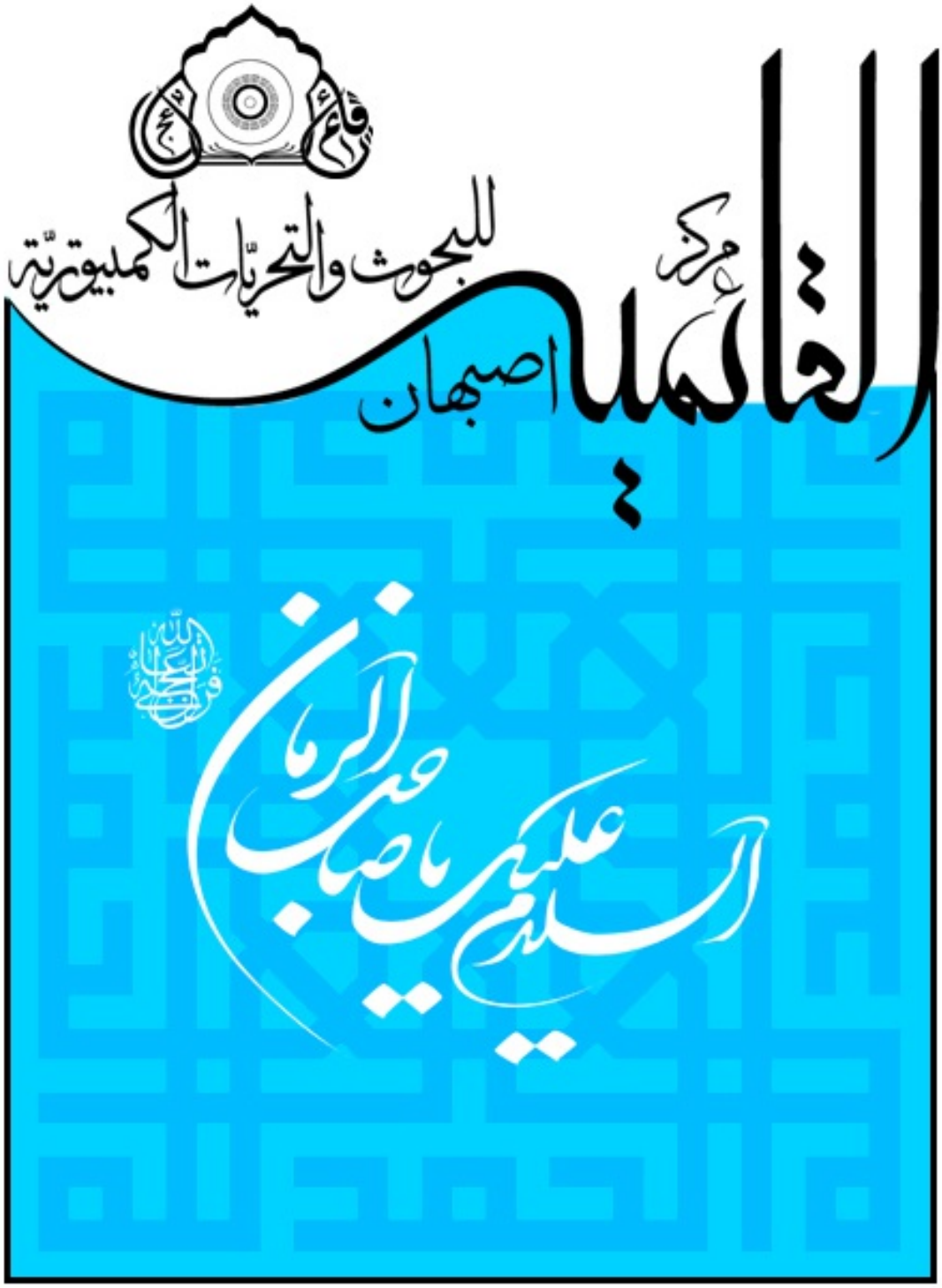

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

فضائل آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الصواعق المحرقة

آية الله السيد محمد الحسيني الشيرازي أعلى الله درجاته

بسم الله الرحمن الرحيم

فضائل آل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم من الصواعق المحرقة

كاتب:

محمد حسينى شيرازى

نشرت فى الطباعة:

محمد حسينى شيرازى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
فضائل آل الرسول صلی الله علیه و آله و سلم من الصواعق المحرقة ----- ۷
اشارة ----- ۷
المقدمة ----- ۷
فی إسلامه وهجرته (ع) وغیرهما ----- ۷
فی فضائله (ع) ----- ۸
فی ثناء الصحابة والسلف (ع) ----- ۱۳
فی نبذ من کراماته وقضایاه وکلماته الدالة علی علوّ قدره (ع) ----- ۱۴
ومن کلامه (ع) ----- ۱۵
ومن کلامه (ع) أیضاً ----- ۱۷
فی وفاته (ع) ----- ۱۹
فی خلافته (ع) ----- ۲۲
فی فضائله (ع) ----- ۲۲
فی بعض مآثره (ع) ----- ۲۴
زواج علی وفاطمة (ع) ----- ۲۶
فی الآیات الواردة فی أهل البیت (ع) ----- ۲۶
تفاسیر فی آیة المودة ----- ۴۰
المقصد الثانی فیما تضمنته تلک الآیة من طلب محبّة آله (ص) وأنّ ذلک من کمال الإیمان ----- ۴۰
المقصد الثالث فیما أشارت إلیه من التحذیر من بغضهم (ع) ----- ۴۲
المقصد الرابع مما أشارت إلیه الآیة الحث علی صلتهم وإدخال السرور علیهم(ع) ----- ۴۳
المقصد الخامس مما أشارت إلیه الآیة من توقیرهم وتعظیمهم والثناء علیهم (ع) ----- ۴۳
فیما أخبر به (ص) فی شأن عترته (ع) ----- ۴۶
أربع وأربعون حدیثاً فی أهل البیت (ع) ----- ۴۹

فی الأحادیث الواردة فی بعض أهل البیت کفاطمة وولدیها (ع) ----- ۵۳
فی الأئمة التسعة من ولد الحسین (ع) ----- ۶۱
وصیة النبی (ص) بهم (ع) ----- ۶۷
الحث علی حبهم (ع) والقیام بواجب حقهم ----- ۶۹
مشروعیة الصلاة علیهم تبعاً للصلاة علی مشرفهم (ص) ----- ۷۰
دعائه (ص) بالبرکة فی هذا النسل المکرم ----- ۷۱
بشارتهم (ع) بالجنة ----- ۷۱
الأمان ببقائهم (ع) ----- ۷۲
خصوصیاتهم الدالة علی عظیم کراماتهم (ع) ----- ۷۲
إکرام الصحابة ومن بعدهم، لأهل البیت (ع) ----- ۷۳
مکافأته (ص) لمن أحسن إلیهم (ع) ----- ۷۴
إشارته (ص) بما حصل لهم (ع) من الشدة بعده ----- ۷۴
التحذیر من بغضهم وسبهم (ع) ----- ۷۴
الحاشیة ----- ۷۵
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۷۹

فضائل آل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم من الصواعق المحرقة

اشارة

مولف: السيد محمد الحسينى الشيرازى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

وبعد:

فقد حدّثنى فضيلة العلاّمة، الخطيب المجاهد، الحاج السيد مرتضى القزوينى، دام بقاؤه بعد زيارته لسماحة الإمام المجاهد، فقيد العلم والأدب، آية الله: الحاج السيد عبد الحسين شرف الدين «قُدِّس سرُّه» قائلاً:

إنّ سماحته أخبرنى بأنه كان يحاول تلخيص كتاب «الصواعق المحرقة» لابن حجر الهيثمى، واختيار الفصول المختصة بعلى أمير المؤمنين وأولاده الأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) فقط، ليكون أبلغ للحجّة، وأقطع للعذر، غير أن الحوادث حالت دون بلوغ هدفه ذاك.

فحبّذ سماحته إلى السيد المرتضى أن يقوم بسدّ ذلك الفراغ فى المكتبة الإسلامية، لكن السيد المرتضى أخبرنى أنه هو الثانى الذى لم تسنح له الفرص لإنجاز تلك الفكرة.. فعزمت – بحول الله تعالى أن أقوم لهذه المهمّة، واستخرت الله تعالى فى إنجازها وتوسّلت بالنبى والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) ليشفعوا لى إلى الله تعالى فى أن يوفّقنى للقيام بها، وسألت الله تعالى أن يهدى ثواب هذه الخدمة إلى روح السيّد شرف الدين، وأن يسبغ فضله على السيد القزوينى، والله أسأل العصمة والسداد، إنه ولىّ ذلك وهو المستعان.

كربلاء المقدسة

محمد بن المهدى الحسينى الشيرازى

فى إسلامه وهجرته (ع) وغيرهما

أسلم وهو ابن عشر سنين، وقيل: تسع، وقيل: ثمان، وقيل: دون ذلك قديماً، بل قال ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسى وجماعة: إنّه أوّل من أسلم، ونقل بعضهم الإجماع عليه، ونقل أبو يعلى عنه قال: بُعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء.

وأخرج ابن سعد، عن الحسن بن زيد قال: لم يعبد الأوثان قطّ لصغره(۱)، أى: ومن ثَمّ يقال فيه: كرّم الله وجهه.

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة وأخو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمؤاخاة، وصهره على فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأحد السابقين(۲) إلى الإسلام، وأحد العلماء الربّانيين، والشجعان المشهورين، والزهّاد المذكورين، والخطباء المعروفين، وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعرض عليه أبو الأسود الدؤلى وأبو عبد الرحمن السلمى وعبد الرحمن بن أبى ليلى.

ولمّا هاجر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكّة أيّاماً حتّى يؤدّى عنه أمانته والودائع والوصايا التى كانت عند النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم يلحقه بأهله(۳)، ففعل ذلك، وشهد مع النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) سائر المشاهد

إلّا تبوك، فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) استخلفه على المدينة وقال له حينئذ: «أنت منّى بمنزلة هارون من موسى».

وله فى جميع المشاهد الآثار المشهورة وأصابه يوم أُحُد ستّ عشرة ضربة، وأعطاه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) اللّواء فى مواطن كثيرة، سيّما يوم خيبر(۴)، وأخبر (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الفتح يكون على يده كما فى الصحيحين، وحمل يومئذ باب حصنها على ظهره حتّى صعد المسلمون عليه ففتحوها، وإنهم جرّوه بعد ذلك، فلم يحمله إلّا أربعون رجلاً(۵).

وفى رواية: أنه تناول باباً من الحصن حصن خيبر فتترَّس به عن نفسه، فلم يزل يقاتل، وهو فى يده، حتّى فتح الله عليه، ثم ألقاه فأراد ثمانية أن يلقوه فما استطاعوا.

فى فضائله (ع)

وهى كثيرة عظيمة شهيرة، حتّى قال أحمد: ما جاء لأحد من الفضائل مثل ما جاء لعلىّ.

وقال إسماعيل القاضى والنسائى وأبو على النيسابورى: لم يرد فى حقّ أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان، أكثر ممّا جاء فى على (عليه السلام).

وقال بعض المتأخرين من ذريّة أهل البيت النبوى: وسبب ذلك والله أعلم أن الله تعالى أطلع نبيّه على ما يكون بعده مما ابتلى به على، وما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة، فاقتضى ذلك نصح الأمة بإشهاره بتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسّك به ممّن بلغته.

ثمّ لمّا وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه، نشر من سمع من الصحابة تلك الفضائل، وبثّها نصحاً للأمة أيضاً، ثم لما اشتدّ الخطب واشتغلت طائفة من بنى أميّة بتنقيصه وسبّه على المنابر، ووافقهم الخوارج، لعنهم الله، بل قالوا بكفره، اشتغلت جهابذة الحفاظ من أهل السنة(۶) ببث فضائله حتى كثرت، نصحاً للأمة ونصرة للحق.

ثم أعلم أنه سيأتى فى فضائل أهل البيت أحاديث مستكثرة من فضائله، فلتكن منك على ذكر، وقد اقتصرتُ هنا على أربعين حديثاً لأنها من غرر فضائله:

الحديث الأول:

أخرج الشيخان عن سعد بن أبى وقاص وأحمد البزّاز، عن أبى سعيد الخدرى، والطبرانى عن أسماء بنت عميس، وأمّ سلمة، وحبيش بن جنادة، وابن عمر، وابن عباس، وجابر بن سمرة، وعلى، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خلّف على بن أبى طالب (عليه السلام) فى غزوة تبوك فقال: يا رسول الله تخلّفنى فى النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون منّى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبىّ بعدى.

الحديث الثانى:

أخرج الشيخان أيضاً عن سهل بن سعد، والطبرانى عن ابن عمر، وابن أبى ليلى وعمران بن حصين، والبزاز، عن ابن عباس: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال يوم خيبر: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فبات الناس يذكرون أى يخوضون ويتحدثّون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلّهم يرجو أن يُعطاها، فقال: أين على بن أبى طالب؟ فقيل: يشتكى عينيه، قال: أرسلوا إليه، فأتِى به، فبصق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى عينيه ودعا له فبرىء حتى كان كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية.

وأخرج الترمذى عن عائشة: كانت فاطمة أحبّ الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوجها على أحبّ الرجال إليه.

الحديث الثالث:

أخرج مسلم، عن سعد بن أبى وقاص قال: لمّا نزلت هذه الآية: (ندع أبناءنا وأبناءكم)(۷) دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

علياً وفاطمة حسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلى.

الحديث الرابع:

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم غدير خم: (من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه) الحديث.

وإنه رواه عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثون صحابياً، وإن كثيراً من طرقه صحيح أو حسن.

وروى البيهقى أنه ظهر على من البعد، فقال رسول الله: هذا سيّد العرب، فقالت عائشة: ألست سيّد العرب؟ فقال: أنا سيّد العالمين وهو سيّد العرب.

ورواه الحاكم فى صحيحه عن ابن عباس بلفظ: أنا سيّد ولد آدم وعلىّ سيّد العرب. وقال: إنّه صحيح.

الحديث الخامس:

أخرج الترمذى والحاكم وصححه عن بريدة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن الله أمرنى بحب أربعة، وأخبرنى أنه يحبّهم، قيل: يا رسول الله سمهم لنا، قال: «على منهم يقول ذلك ثلاثاً وأبو ذر والمقداد وسلمان».

الحديث السادس:

أخرج أحمد، والترمذى، والنسائى، وابن ماجة، عن حبيش بن جنادة قال: قال رسول الله: علىّ منّى وأنا من على، ولا يؤدىّ عنّى إلّا أنا وعلى.

الحديث السابع:

أخرج الترمذى عن ابن عمر: آخى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بين أصحابه فجاء علىّ تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخِ بينى وبين أحد؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم: أنت أخى فى الدنيا والآخرة.

الحديث الثامن:

أخرج مسلم عن على قال: والذى فلق الحبّة وبرأ النسمة أنه لعهد النبى الأمى إلى أنه لا يحبنى إلّا مؤمن ولا يبغضنى إلّا منافق.

وأخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال: كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليّاً.

الحديث التاسع:

أخرج البزاز والطبرانى فى الأوسط عن جابر بن عبد الله، والطبرانى والحاكم والعقيلى فى الضعفاء وابن عدى عن ابن عمر، والترمذى والحاكم عن على (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أنا مدينة العلم وعلى بابها.

وفى رواية: فمن أراد العلم فيأت الباب.

وفى أخرى عن الترمذى عن على: أنا دار الحكمة وعلى بابها.

وفى أخرى عن ابن عدى: على باب علمى.

وبالغ الحاكم على عادته، وقال: إن الحديث صحيح وصوّب بعض محقّقى المتأخّرين المطّلعين على الحديث أنه حديث حسن.

الحديث العاشر:

أخرج الحاكم وصححه عن على قال: «بعثنى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله بعثتنى وأنا شاب أقضى بينهم لا أدرى ما القضاء؟! فضرب صدرى بيده ثم قال: اللهم اهدِ قلبه وثبّت لسانه، فوالذى فلق الحبّة ما شككتُ فى قضاء بين اثنين».

قيل: «وسبب قوله: أقضاكم على، إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان جالساً مع جماعة من أصحابه، فجاءه خصمان فقال أحدهما: يا رسول الله إن لى حماراً وإن لهذا بقرة وإن بقرته قد قتلت حمارى، فبدأ رجل من الحاضرين فقال: لا ضمان على البهائم، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): اقضِ بينهما يا على، فقال على لهما: أكانا مرسلين أم مشدودين أم أحدهما مشدوداً والآخر مرسلاً؟

فقالا: كان الحمار مشدوداً والبقرة مرسلة وصاحبها معها، فقال: على صاحب البقرة ضمان الحمار. فأقرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حكمه وأمضى قضاءه».

الحديث الحادى عشر:

أخرج ابن سعد عن على أنه قيل له: ما لك أكثر أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حديثاً؟ قال: «إنى كنت إذا سألته أنبأنى وإذا سكتُّ ابتدأنى».

الحديث الثانى عشر:

أخرج الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف على جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله: «الناس من شجر شتّى وأنا وعلى من شجرة واحدة».

الحديث الثالث عشر:

أخرج البزار عن سعد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلىّ: «لا يحل لأحد أن يجنب فى هذا المسجد غيرى وغيرك».

الحديث الرابع عشر:

أخرج الطبرانى والحاكم وصحّحه، عن أمّ سلمة قالت: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا غضب لم يجترئ أحد أن يكلّمه إلاّ على».

الحديث الخامس عشر:

أخرج الطبرانى والحاكم، عن ابن مسعود رضى الله عنه، أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «النظر إلى علىّ عبادة»، إسناده حسن.

الحديث السادس عشر:

أخرج أبو يعلى والبزاز عن سعد بن أبى وقاص، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من آذى علياً فقد آذانى» (۸).

الحديث السابع عشر:

أخرج الطبرانى بسند حسن، عن أم سلمة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من أحبّ علياً فقد أحبّنى، ومن أحبّنى فقد أحبّ الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضنى، ومن أبغضنى فقد أبغض الله».

الحديث الثامن عشر:

أخرج أحمد والحاكم وصحّحه، عن أم سلمة، قال: سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «من سبّ علياً فقد سبّنى» (۹).

الحديث التاسع عشر:

أخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن أبى سعيد الخدرى: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلىّ: «إنك تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله».

الحديث العشرون:

أخرج البزاز وأبو يعلى والحاكم عن علىّ قال: «دعانى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: إن فيك مثلاً من عيسى، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبّته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذى ليس به، ألا وإنه يهلك فىّ اثنان: محبّ مفرط يقرضنى بما ليس فى، ومبغض يحمله شنآنى على أن يبهتنى».

الحديث الحادى والعشرون:

أخرج الطبرانى فى الأوسط، عن أمّ سلمة قالت: «سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: على مع القرآن والقرآن مع على، لا يفترقان حتّى يردا علىَّ الحوض».

الحديث الثانى والعشرون:

أخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمّار بن ياسر: أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلى: أشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذى عقر الناقة، والذى يضربك يا على على هذه – يعنى قرنه- حتى يبلّ منه هذه يعنى لحيته.

وقد ورد ذلك من حديث على وصهيب وجابر بن سمرة وغيرهم.

أخرج أبو يعلى عن عائشة، قالت: «رأيت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) التزم علياً وقبله وهو يقول: بأبى الوحيد الشهيد».

وروى الطبرانى وأبو يعلى بسند رجاله ثقاة إلاّ واحد منهم فإنه موثق أيضاً: إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال له يوماً من أشقى الأولّين؟ قال: الذى عقر الناقة يا رسول الله، قال: صدقت، قال: فمن أشقى الآخرين؟ قال: لا علم لى يا رسول الله. قال: الذى يضربك على هذه وأشار(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى يافوخه.

فكان علىّ (عليه السلام) يقول لأهل العراق أى عند تضجّره منهم: (وددتُ أنه قد انبعث أشقاكم فخضب هذه يعنى لحيته من هذه) ووضع يده على مقدم رأسه.

وصحّ أيضاً أن ابن سلام قال له: «لا تقدم العراق فإنى أخشى أن يصيبك بها ذباب السيف، فقال على: وأيم الله لقد أخبرنى به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)».

قال أبو الأسود: فما رأيتُ كاليوم قطّ محارباً يخبر بذا عن نفسه.

الحديث الثالث والعشرون:

أخرج الحاكم وصححه عن أبى سعيد الخدرى قال: «اشتكى الناس علياً فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فينا خطيباً فقال: لا تشكو علياً فوالله إنه لأخيشن فى ذات الله وفى سبيل الله».

الحديث الرابع والعشرون:

أخرج أحمد والضياء، عن زيد بن أرقم: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إنى أمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب على، فقال فيه قائلكم، وإنى والله ما سددتُ شيئاً ولا فتحته ولكنى أمرت بشىء فاتبعته».

الحديث الخامس والعشرون:

أخرج الترمذى والحاكم عن عمران بن حصين: «أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ما تريدون من على؟! ما تريدون من على؟! ما تريدون من على؟! إنّ علياً منّى وأنا منه وهو ولىّ كلّ مؤمن بعدى».

الحديث السادس والعشرون:

أخرج الطبرانى عن ابن مسعود: «إن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إن الله تبارك وتعالى أمرنى أن أزوّج فاطمة من علىّ».

الحديث السابع والعشرون:

أخرج الطبرانى عن جابر، والخطيب عن ابن عباس: «إن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إن الله جعل ذريّة كل نبى فى صلبه، وجعل ذريّتى فى صلب على بن أبى طالب».

الحديث الثامن والعشرون:

أخرج الديلمى عن عائشة: «أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: خير إخوتى على وخير أعمامى حمزة».

الحديث التاسع والعشرون:

أخرج الديلمى أيضاً عن عائشة، والطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس: «أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: السبق ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب يس، والسابق إلى محمد على بن أبى طالب».

الحديث الثلاثون:

أخرج ابن النجار عن ابن عباس: «أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: الصدّيقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجّار

صاحب يس، وعلى بن أبى طالب».

الحديث الحادى والثلاثون:

أخرج أبو نعيم وابن عساكر عن أبى ليلى: «أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: الصدّيقون ثلاثة: حبيب النجّار، ومؤمن آل يس، قال: يا قوم اتّبعوا المرسلين، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذى قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربّى الله، وعلى بن أبى طالب وهو أفضلهم».

الحديث الثانى والثلاثون:

أخرج الخطيب عن أنس: «إن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: عنوان صحيفة المؤمن حُبُّ علىّ بن أبى طالب».

الحديث الثالث والثلاثون:

أخرج الحاكم عن جابر: «إن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: على إمام البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله».

الحديث الرابع والثلاثون:

أخرج الدارقطنى فى الأفراد عن ابن عباس: «أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: على باب حطّة، من دخل منه كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً».

الحديث الخامس والثلاثون:

أخرج الخطيب عن البراء، والديلمى عن ابن عباس: «أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: على منّى بمنزلة رأسى من بدنى».

الحديث السادس والثلاثون:

أخرج البيهقى والديلمى عن أنس: «أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: على يزهو فى الجنّة ككوكب الصبح لأهل الدنيا».

الحديث السابع والثلاثون:

أخرج ابن عدى عن على: «أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: على يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين».

الحديث الثامن والثلاثون:

أخرج البزاز عن أنس: «أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: على يقضى دَيْنى».

الحديث التاسع والثلاثون:

أخرج الترمذى والحاكم: «أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إن الجنّة لتشتاق إلى ثلاثة: علىّ وعمّار وسلمان».

الحديث الأربعون:

أخرج الشيخان عن سهل: «أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وجد علياً مضطجعاً فى المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب، فجعل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) يمسحه ويقول: قم أبا تراب، فلذلك كانت هذه الكنية أحب الكنى إليه، لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كناه بها».

وأخرج النسائى والحاكم عن على: «أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إن كل نبى أعطِى سبعة نجباء رفقاء، وأعطيت أنا أربعة عشر: على والحسن والحسين وجعفر وحمزة» الحديث.

وأخرج ابن المظفر وابن أبى الدنيا عن أبى سعيد الخدرى قال: «خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى مرضه الذى توفّى فيه ونحن فى صلاة الغداة(۱۰) فقال: إنى تركت فيكم كتاب الله عزّ وجلّ وسنّتى(۱۱)، فاستنطقوا القرآن بسنتى فإنه لن تعمى أبصاركم ولن تزل أقدامكم ولن تقصر أيديكم ما أخذتم بها، ثم قال: أوصيكم بهذين خيراً، وأشار إلى على والعبّاس، لا يكف عنهما أحد ولا يحفظهما على إلا أعطاه الله نوراً حتى يرد به على يوم القيامة».

وأخرج ابن أبى شيبة عن عبد الرحمن بن عوف قال: «لما فتح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة انصرف إلى الطائف فحصرها سبع عشرة ليلة أو تسعة عشرة ليلة، ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أوصيكم بعترتى خيراً، وإن موعدكم الحوض، والذى نفسى بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة، ولأبعثن إليكم رجلاً منّى أو كنفسى يضرب أعناقكم، ثمّ أخذ بيد على ثم قال: هو هذا».

وفى رواية: «إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال فى مرض موته: أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بى، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا أنى مخلف فيكم كتاب ربى عزّ وجل وعترتى أهل بيتى، ثم أخذ بيد على فرفعها فقال: هذا على مع القرآن والقرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض، فأسألهما ما خلفت فيهما».

وأخرج أحمد فى المناقب عن على قال: «طلبنى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى حائط فضربنى برجله وقال: قم فوالله لأرضيك، أنت أخى وأبو ولدى، فقاتل على سنّتى من مات على عهدى فهو فى كنز الجنّة، ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه، ومن مات يحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت».

وأخرج الدارقطنى: «إن علياً قال للستّة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً من جملته: أنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا على أنت قسيم الجنّة والنار يوم القيامة غيرى؟ قالوا: اللهم لا».

ومعناه ما رواه عنترة عن على الرضا «أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال له: أنت قسيم الجنّة والنار، فيوم القيامة تقول للنار: هذا لى وهذا لك».

وروى ابن السماك: «إن أبا بكر قال له: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: لا يجوز أحد الصراط إلّا من كتب له علىّ الجواز».

وأخرج البخارى عن على (عليه السلام) أنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيهم نزلت هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علىّ وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة».

فى ثناء الصحابة والسلف (ع)

أخرج ابن سعد عن أبى هريرة قال: قال عمر بن الخطاب: علىّ أقضانا.

وأخرج الحاكم عن ابن مسعود قال: أقضى أهل المدينة علىّ.

وأخرج عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر بن الخطّاب يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها أبوالحسن يعنى علياً.

وأخرج عنه قال: لم يكن أحد من الصحابة يقول سلونى إلّا علىّ.

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال: افرض أهل المدينة وأقضاها علىّ وذكر عند عائشة فقالت: إنه أعلم من بقى فى السنة.

وقال مسروق: انتهى علم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى عمر(۱۲) وعلى وابن مسعود.

وقال عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة: كان لعلى ما شئت من ضرس قاطع فى العلم وكان له القدم فى الإسلام والصهر برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والفقه فى السنّة، والنجدة فى الحرب، والجود فى المال.

وأخرج الطبرانى وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال: ما أنزل الله: (يا أيّها الذين آمنوا) إلاـ وعلىّ شريفها وأميرها. ولقد عاتب الله أصحاب محمد فى غير مكان وما ذكر علياً إلّا بخير.

وأخرج ابن عساكر عنه قال: ما نزل فى أحد من كتاب الله تعالى ما نزل فى علىّ.

وأخرج عنه أيضاً قال: نزل فى علىّ ثلاثمائة آية.

وأخرج الطبرانى عنه قال: كانت لعلىّ ثمانى عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمة.

وأخرج أبو يعلى عن أبى هريرة قال: قال عمر بن الخطاب: لقد أُعطى على ثلاث خصال لأن تكون لى خصلة منها أحبّ إلى من حمر النعم، فسئل ما هى؟ قال: تزويجه ابنته، وسكناه فى المسجد لا يحل لى فيه ما يحل له، والراية يوم خيبر.

وروى أحمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه.

وأخرج أحمد وأبو يعلى بسند صحيح عن على قال: ما رمدتُ ولا صرعتُ منذ مسح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجهى وتفل فى عينى يوم خيبر حين أعطانى الراية.

ولمـّا دخل الكوفة دخل عليه حكيم من العرب فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد زيّنت الخلافة وما زيّنتك، ورفعتها وما رفعتك، وهى كانت أحوج إليك منك إليها.

وأخرج السلفى فى الطيوديات عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سألت أبى عن علىّ ومعاوية فقال: أعلم أن علياً كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه شيئاً فلم يجدوه فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيداً منهم له.

فى نبذ من كراماته وقضاياه وكلماته الدالة على علوّ قدره (ع)

علماً وحكمةً وزهداً ومعرفةً بالله تعالى

أخرج ابن سعد عنه قال: والله ما نزلت آية إلاّ وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إن ربى وهب لى قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً.

وأخرج ابن سعد وغيره عن أبى الطفيل قال: قال على: سلونى عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم جبل.

ومن كراماته الباهرة: أن الشمس ردت عليه لما كان رأس النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى حجره والوحى ينزل عليه وعلىّ لم يصلّ العصر، فما سرى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ وقد غربت الشمس، فقال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، فطلعت بعد ما غربت.

وحديث ردّها صححه الطحاوى والقاضى فى الشفاء، وحسّنه شيخ الإسلام أبو زرعة، وتبعه غيره، وردوا على جمع قالوا: أنه موضوع ورغم فوات الوقت بغروبها فلا فائدة لردّها فى محل المنع، بل نقول كما أن ردّها خصوصية كذلك إدراكك العصر الآن أداء خصوصية وكرامة(۱۳) على أن فى ذلك أعنى أن الشمس إذا غربت، ثم عادت هل يعود الوقت بعودها؟ تردداً(۱۴) حكيته مع بيان المتجه منه فى شرح العباب، فى أوائل كتاب الصلاة.

قال سبط ابن الجوزى: وفى الباب حكاية عجيبة حدثنى جماعة من مشايخنا بالعراق: أنهم شاهدوا أبا منصور المظفر بن ازدشير القباوى الواعظ، ذكر بعد العصر هذا الحديث ونمقه بألفاظه، وذكر فضائل أهل البيت، فغطت سحابة الشمس حتى ظن الناس أنها قد غابت، فقام على المنبر فأومأ إلى الشمس وأنشدها:

لا تغربى يا شمس حتى ينتهى مدحى لآل المصطفى ولنجله

واثنى عنانك إن أردت ثنائهم أنسيت إذ كان الوقوف لأجله

إن كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لخيله ولرجله

قالوا: فانجاب السحاب عن الشمس، وطلعت.

وأخرج عبد الرزاق عن حجر المرارى قال: قال لى على: كيف بك إذا أُمرت أن تلعننى؟ قلت: أو كائن ذلك؟ قال: نعم، قلت: فكيف أصنع؟ قال: العنى ولا تبرأ منى. قال: فأمرنى محمد بن يوسف أخو الحجاج، وكان أميراً من قبل عبد الملك ابن مروان على اليمن أن

ألعن علياً، فقلت: إن الأمير أمرنى أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله، فما فطن لها إلا رجل، أى: لأنه إنما لعن الأمير ولم يلعن علياً، فهذا من كرامات علىّ وإخباره بالغيب.

ومن كراماته أيضاً: أنه حدث بحديث فكذبه رجل فقال له: أدعو عليك إن كنت كاذباً، قال: أُدع، فدعا عليه، فلم يبرح حتى ذهب بصره.

وأخرج ابن المدائنى عن مجمع: أن علياً كان يكنس بيت المال ثم يصلّى فيه رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين، وجلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة، ومع الآخر ثلاثة أرغفة، فمر بهما ثالث فأجلساه، فأكلوا الأرغفة الثمانية على السواء، ثم طرح لهما الثالث ثمانية دراهم عوضاً عمّا أكله من طعامهما، فتنازعا، فصاحب الخمسة أرغفة يقول: إن له خمسة دراهم، ولصاحب الثلاثة ثلاثة، وصاحب الثلاثة يدعى أن له أربعة ونصفاً، فاختصما إلى على، فقال لصاحب الثلاث: خذ ما رضى به صاحبك وهو الثلاثة فإن ذلك خير لك، فقال: لا رضيت إلا بمر الحق، فقال على: ليس فى مر الحق إلا درهماً واحداً، فسأله عن بيان وجه ذلك، فقال على: أليست الثمانية أرغفة أربعة وعشرين ثلثاً أكلتموها وأنتم ثلاث؟ ولا يعلم أكثركم أكلاً فتحملون على السواء، فأكلت أنت ثمانية أثلاث والذى لك تسعة أثلاث، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث والذى له خمسة عشر ثلثاً، فبقى له سبعة ولك واحد، فله سبعة بسبعته، ولك واحد بواحدك، فقال: رضيت الآن.

وأتى برجل فقيل له: زعم هذا أنه احتلم بأمى، فقال اذهب فأقمه فى الشمس فاضرب له ظله.

ومن كلامه (ع)

الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.

الناس برؤسائهم أشبه منهم بآبائهم.

لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً.

ما هلك امرىء عرف قدره.

قيمة كل امرؤ ما يحسنه.

من عرف نفسه فقد عرف ربّه.

(كذا نسب إليه، والمشهور أنه من كلام يحى بن معاذ الرازى).

المرء مخبوءٌ تحت لسانه.

من عذب لسانه كثر إخوانه.

بالبر يستعبد الحر.

بشّر مال البخيل بحادث أو وارث.

لا تنظر الذى قال وانظر إلى ما قاله.

الجزع عند البلاء تمام المحنة.

لا ظفر مع البغى.

لا ثناء مع الكبر.

لا صحة مع النهم والتخم.

لا شرف مع سوء الأدب.

لا راحة مع الحسد.

لا سؤدد مع الانتقام.

لا صواب مع ترك المشورة.

لا مروءة للكذب.

لا كرم أعز من التقى.

لا شفيع أنجح من التوبة.

لا لباس أجمل من العافية.

لا داء أعيى من الجهل.

المرء عدوّ ما جهله.

رحم الله امرءاً عرف قدره، ولم يتعد طوره.

إعادة الاعتذار تذكر بالذنب.

النصح بين الملأ تقريع.

نعمة الجاهل كروضة على مزبلة.

الجزع أتعب من الصبر.

المسؤول حر حتى يعد.

أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة.

الحكمة ضالة المؤمن.

البخيل جامع لمساوىء العيوب.

إذا حلت المقادير ضلت التدابير.

عبد الشهوة أذل من عبد الرقّ.

الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له.

كفى بالذنب شفيعاً للمذنب.

السعيد من وعظ بغيره.

الإحسان يقطع اللسان.

أفقر الفقر الحمق.

أغنى الغنى العقل.

الطامع فى وثاق الذل.

ليس العجب مما هلك كيف هلك، بل العجب مما نجا كيف نجا.

احذروا نفاد النعم فما شارد بمردود.

أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع.

إذا وصلت إليكم النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر.

إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه.

ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر فى فلتات لسانه، وعلى صفحات وجهه.

البخيل يستعجل الفقر ويعيش فى الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء.

لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه.

العلم يرفع الوضيع والجهل يضع الرفيع.

العلم خير من المال.

العلم يحرسك وأنت تحرس المال.

العلم حاكم والمال محكوم عليه.

قصم ظهرى عالم متهتك وجاهل متنسك، هذا يفتى وينفر الناس بتهتكه، وهذا يضل الناس بتنسكه.

أقل الناس قيمة أقلهم علماً، إذ قيمة كل امرىء ما يحسنه.

وكلامه (عليه السلام) فى هذا الأسلوب البديع كثير، تركته خوف الإطالة.

ومن كلامه (ع) أيضاً

كونوا فى الناس كالنحلة فى الطير، ليس فى الطير شىء إلا وهو يستضعفها، ولو علم الطير ما فى أجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها.

خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم، فإن للمرء ما اكتسب وهو يوم القيامة مع من أحب.

ومنه: كونوا بقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل، فإنه لن يقل عملٌ مع التقوى، وكيف يقل عمل متقبل.

ومنه: يا حملة القرآن اعملوا به، فإن العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقاً فيباهى بعضهم بعضاً، حتى أن الرجل يغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أؤلئك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك إلى الله.

ومنه: لا يخافن أحد منكم إلا ذنبه، ولا يرجو إلا ربه، ولا يستحى من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم.

ومنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

ومنه: الفقيه كل الفقيه من لا يقنط الناس من رحمة الله، ولا يرخص لهم فى معاصى الله، ولا يؤمنهم عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره.

ومنه: لا خير فى عبادة لا علم فيها، ولا خير فى علم لا فهم معه، ولا فى قراءة لا تدبر فيها.

ومنه: ما أبردها على كبدى إذا سئلت عما لا أعلم(۱۵) أن أقول: الله أعلم.

ومنه: من أراد أن ينصف الناس من نفسه فليحب لهم ما يحب لنفسه.

ومنه: سبع من الشيطان: شدة الغضب، وشدة العطاس، وشدة التثاؤب، والقيىء، والرعاف(۱۶)، والنجوى، والنوم عند الذكر.

ومنه: الحزم سوء الظن. وهو حديث ولفظه: إن من الحزم سوء الظن.

ومنه: التوفيق خير قائد، وحسن الخلق خير قرين، والعقل خير صاحب، والأدب خير ميراث، ولا وحشة أشد من العجب.

وقال لما سئل عن القدر: طريق مظلم لا تسلكه، وبحر عميق لا تلجه، سرّ الله قد خفى عليك فلا تفشه، أيها السائل إن الله خلقك كما شاء أو كما شئت! قال: بل كما شاء، قال: فيستعملك كما شاء.

وقال: إن للنكبات نهايات لابد لأحد إذا نكب أن ينتهى إليها فينبغى للعاقل إذا أصابته نكبة أن ينام لها حتى تنقضى مدتها، فإن فى دفعها قبل انقضاء مدتها زيادة فى مكروهها.

وسئل عن السخاء فقال: ما كان منه ابتداء، فأما ما كان عن مسألة فحياء وتكرم.

وأثنى عليه عدوٌّ له فأطراه فقال: إنى لست كما تقول، وأنا فوق ما فى نفسك.

وقال: جزاء المعصية الوهن فى العبادة، والضيق فى المعيشة، والنغص فى اللذة، قيل: وما النغص؟ قال: لا ينال شهوة حلال إلا جاءه ما

ينغصه إياها.

وقال له عدوه: ثبتك الله، فقال: على صدرك.

ولما ضربه ابن ملجم قال للحسن وقد دخل عليه باكياً: يا بنى احفظ عنى أربعاً وأربعاً، قال: وما هن يا أبتهٔ؟ قال: إن أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشهٔ العجب، وأكرم الكرم حسن الخلق، قال: فالأربع الأخر؟ قال: إياك ومصاحبهٔ الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصادقهٔ الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد، ويبعد عليك القريب، وإياك ومصادقهٔ البخيل، فإنه يخذلك فى أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقهٔ الفاجر، فإنه يبيعك بالتافه.

وقال له يهودى: متى كان ربّنا؟ فتغيّر وجهه وقال: كان إذ لم يكن مكان، ولا كينونهٔ، كان بلا كيف، كان ليس له قبل ولا غايهٔ، انقطعت الغايات دونه، فهو غايهٔ كل غايهٔ، فأسلم اليهودى.

وافتقد درعاً وهو بصفّين فوجدها عند يهودىّ فحاكمه فيها إلى قاضيه الشيخ شريح وجلس بجنبه وقال: لولا أن خصمى يهودى لاستويتُ معه فى المجلس(۱۷)، ولكنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: لا تسوّوا بينهم فى المجالس.

وفى روايهٔ: أصغروهم(۱۸) من حيث أصغرهم الله، ثم ادّعى بها فأنكر اليهودى، فطلب شريح بيّنهٔ من على، فأتى بقنبر والحسن، فقال له شريح: شهادهٔ الابن لأبيه لا تجوز، فقال اليهودى: أمير المؤمنين قدّمنى إلى قاضيه وقاضيه قضى عليه! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وأن الدرع درعك.

وأخرج الواقدى عن ابن عباس قال: كان مع على أربعهٔ دراهم لا يملك غيرها فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانيهٔ، فنزل فيه: (الذين ينفقون أموالهم باللّيل والنهار وسرّاً وعلانيهٔ فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)(۱۹).

وقال معاويهٔ لضرار بن حمزهٔ: صف لى علياً، فاعتذر، فقال: أقسمتُ عليك بالله، فقال:

كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطلق الحكمهٔ من لسانه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس باللّيل ووحشته، وكان غزير الدمعهٔ، طويل الفكرهٔ، يعجبه من اللّباس ما قصر، ومن الطعام ما خشُن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه إيّانا وقربه منّا لا نكاد نكلّمه هيبهٔ له، يعظم أهل الدين، ويقرّب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململُ تململ السليم أى اللدّيغ ويبكى بكاء الحزين ويقول: يا دنيا غُرّى غيرى إلى تشوّقتِ؟ هيهات هيهات قد باينتك ثلاثاً لا رجعهٔ فيها، فعمركِ قصير، وخطركِ قليل، آه آه من قلهٔ الزاد وبعد السفر ووحشهٔ الطريق، فبكى معاويهٔ وقال: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك.

وسبب مفارقهٔ أخيه عقيل له، أنه كان يعطيه كلّ يوم من الشعير ما يكفى عياله، فاشتهى عليه أولاده هريساً، فصار يوفر كل يوم شيئاً قليلاً حتى اجتمع عنده ما اشترى به سمناً وتمراً وصنع لهم فدعوا علياً إليه، فلمّا جاء وقدم له ذلك سأل عنه فقصّوا عليه ذلك، فقال: أو كان يكفيكم ذلك بعد الذى عزلتم منه؟ قالوا: نعم، فنقص(۲۰) ممّا كان يعطيه مقدار ما كان يعزل كل يوم، وقال: لا يحلّ لى أزيد من ذلك، فغضب، فحمى له حديدهٔ وقرّبها من خدّه وهو غافل، فتأوّه، فقال: تجزع من هذه وتعرضنى لنار جهنّم، فقال: لأذهبنّ إلى من يعطينى تبراً ويطعمنى تمراً، فلحق بمعاويهٔ.

وقد قال معاويهٔ يوماً: لولا علم عقيل بأنى خير له من أخيه ما أقام عندنا وتركه، فقال له عقيل: أخى خير لى فى دينى، وأنت خير لى فى دنياى، وأسأل الله خاتمهٔ خير.

وأخرج ابن عساكر: أنّ عقيلاً سأل علياً فقال: إنى محتاج وإنى فقير فأعطنى، قال: اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فأعطيك معهم، فألحّ عليه فقال لرجل: خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت أهل السوق، فقال له: دق هذه الأقفال وخذ ما فى هذه الحوانيت، قال

عقيل: تريد أن تتّخذنى سارقاً، فقال على: وأنت تريد أن تتّخذنى سارقاً؟ أن آخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم، قال: لأتينّ معاوية، قال: أنت وذاك، فأتى معاوية فسأله فأعطاه مائة ألف، ثم قال: اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به على وما أوليتك. فصعد فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: يا أيّها الناس إنى أخبركم أنى أردت علياً على دينه فاختار دينه، وإنى أردت معاوية على دينه فاختارنى على دينه.

وقال معاوية لخالد بن عمر لمَ أحببت علياً علينا؟ قال: على ثلاث خصال: على حلمه إذا غضب، وعلى صدقه إذا قال، وعلى عدله إذا حكم، ولمّا وصل إليه فخر من معاوية قال لغلامه اكتب إليه، ثم أملى عليه:

محمد النبى أخى وصهرى وحمزة سيّد الشهداء عمّى

وجعفر الذى يمسى ويضحى يطير مع الملائكة ابن أمّى

وبنت محمد سكنى وعرسى منوط لحمها بدمى ولحمى

وسبطا أحمد ابناى منها فأيّكموا له سهم كسهمى

سبقتكم إلى الإسلام طرّاً غلاماً ما بلغت أوان حلمى

قال البيهقى: إن هذا الشعر مما يجب على كل أحد متوان فى على حفظه ليعلم مفاخره فى الإسلام، ومناقب على وفضائله أكثر من أن تحصى.

ومن كلام الشافعى:

إذا نحن فضلنا علياً روافض بالتفضيل عند ذوى الجهل

وقال أيضاً:

قالوا ترفضت قلت كلّا ما الرفض دينى ولا اعتقادى

لكن توليت غير شك خير إمام وخير هادى

إن كان حبّ الولىّ رفضاً فإننى أرفض العباد

وقال أيضاً:

يا راكباً قف بالمحصب من منىً واهتف بساكن خيفها والناهض

سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى فيضاً كملتطم الفرات الفائض

إن كان حب الولىّ رفضاً فليشهد الثقلان أنى رافضى

قال البيهقى: وإنما قال الشافعى ذلك حين نسبه الخوارج إلى الرفض حسداً وبغياً.

وله أيضاً: وقال المزنى: إنك رجل توالى أهل البيت فلو عملت فى هذا الباب أبياتاً، فقال:

وما زال كتماً منك حتى كأننى برد جواب السائلين لا عجمُ

واكتم ودّى مع صفاء مودّتى لتسلم من قول الوشاة وأسلمُ

فى وفاته (ع)

سببها أنه لما طال النزاع بينه بين معاوية(۲۱) انتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم المرادى، والبرْك، وعمرو التميمى، فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا أو تعاقدوا ليقتلنَّ هؤلاء الثلاثة: علياً ومعاوية وعمرو بن العاص ويريحوا العبادَ منهم، فقال ابن ملجم: أنا لكم بعلى، وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو: وأنا لكم بعمرو، وتعاهدوا على أن ذلك يكون ليلة حادى عشر أو ليلة سابع عشر(۲۲) رمضان، ثم توجه كل منهم إلى مصر صاحبه، فقدم ابن ملجم الكوفة فلقى أصحابه من الخوارج فكاتمهم من يريد ووافقه

منهم شبيب بن عجزة الأشجعى وغيره، فلما كانت ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين استيقظ علىّ سحراً وقال لابنه الحسن: رأيت اللّيلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أمتك خيراً، فقال لى: ادعُ الله عليهم، فقلت: اللهم أبدلنى بهم خيراً لى منهم وأبدلهم بى شراً لهم منّى.

وأقبل عليه الأوز يصحن فى وجهه فطردوهن، فقال دعوهنّ فإنهنّ نوائح، ودخل عليه المؤذن فقال: الصلاة، فخرج على الباب ينادى: أيها الناس الصلاة الصلاة، فشد عليه شبيب فضربه بالسيف(۲۳) فوقع سيفه بالباب وضربه ابن ملجم بسيفه فأصاب جبهته إلى قرنه، ووصل دماغه، وهرب، فشبيب دخل منزله فدخل عليه رجل من بنى أمية فقتله.

وأما ابن ملجم فشدّ عليه الناس من كل جانب، فلحقه رجل من همدان فطرح عليه قطيفه ثم صرعه وأخذ السيف منه وجاء به إلى على فنظر إليه وقال(۲۴): النفس بالنفس، إذا ما متّ فاقتلوه كما قتلنى وإن سلمت رأيت فيه رأيى.

وفى رواية: والجروح قصاص فأمسك وأوثق.

وأقام على الجمعة والسبت وتوفّى ليلة الأحد، وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية يصبّ الماء، وكفّن فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وصلّى عليه الحسن وكبر عليه سبعاً، ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلاً، أو بالغرى(۲۵) موضع يزار الآن، أو بين منزله والجامع الأعظم.

أقول: ثم قطعت أطراف ابن ملجم وجعل(۲۶) فى قوصرة وأحرقوه بالنار.

وقيل: بل أمر الحسن بضرب عنقه ثم حرقت جيفته أم الهيثم بنت الأسود النخعية، وكان على فى شهر رمضان الذى قتل فيه يفطر ليلةً عند الحسن وليلةً عند الحسين وليلةً عند عبد الله بن جعفر، ولا يزيد على ثلاث لقم ويقول: أحب أن ألقى الله وأنا خميص.

فلمّا كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها أكثر الخروج والنظر إلى السماء وجعل يقول: والله ما كَذِبْتُ ولا كُذّبْتُ وإنها الليلة التى وعدتُ، فلمّا خرج وقت السحر ضربه ابن ملجم الضربة الموعود بها كما قدمنا فى أحاديث فضائله. وعُمِّى قبر على لئلا ينبشه الخوارج.

وقال شريك: نقله ابنه الحسن إلى المدينة.

وأخرج ابن عساكر: أنه لمّا قُتل حملوه ليدفنون مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فبينما هم فى مسيرهم ليلاً إذ ندَّ الجمل الذى عليه فلم يدرِ أين يذهب ولم يقدر عليه فلذلك يقول جماعة هو فى السحاب، وقال غيره: إن البعير وقع فى بلاد طىء فأخذوه ودفنوه(۲۷).

وكان لعلى حين دُفن ثلاث وستّون سنة(۲۸). وقيل: أربع وستون. وقيل: خمس وستّون، وقيل: سبع وخمسون، وقيل: ثمان وخمسون.

وسُئِل وهو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى: (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدَّلوا تبديلا)(۲۹) فقال: اللهم غفراً هذه الآية نزلت فىّ وفى عمّى حمزة، وفى ابن عبيدة بن الحرث بن عبد المطّلب، فأما عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر، وحمزة قضى نحبه شهيداً يوم أحد، وأما أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذه، وأشار بيده على لحيته ورأسه، عهد عهده إلىّ حبيبى أبى القاسم (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولما أصيب دعا الحسن والحسين فقال لهما: أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شىء زوى منها عنكما، وقولا الحقّ، وارحما اليتيم، وأعينا الضعيف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم أنصاراً، واعملا لله ولا تأخذكما فى الله لومة لائم.

ثمّ نظر إلى ولده محمد بن الحنفية فقال له: هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم، فقال: أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقّهما عليك، ولا تواثق أمراً دونهما.

ثمّ قال: أوصيكما به فإنّه أخوكما وابن أبيكما، وقد علمتما أنّ أباكما كان يحبّه.

ثمّ لم ينطق إلّا بلا إله إلا الله إلى أن قبض كرّم الله وجهه.

وروى: أنّ علياً جاءه ابن ملجم يستحمله فحمله ثم قال:

أريد حياته ويريد قتلى عَذيرك من خليلك من مراد

ثم قال: هذا والله قاتلى، فقيل له: ألا تقتله؟ فقال: فمن يقتلنى؟

وفى المستدرك عن السدّى قال: كان ابن ملجم عشق امرأة من الخوارج يقال لها قطام فنكحها وأصدقها ثلاثة آلاف درهم وقتل على، وفى ذلك يقول الفرزدق:

فلم أرى مهراً ساقه ذو سماحة كمهرٍ قطامٍ بيِّن غير معجم

وفى رواية: من فصيح أعجم.

ثلاثة آلاف وعبد وقينه وضرب على بالحسام المصمم

فلا مهر أغلى من على وإن غلا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

۱ بل لعصمته (عليه السلام). ۲ بل أول السابقين.

۳ وذلك بعد أن أمره بالمبيت على فراشه فرضى (عليه السلام) أن يقى بنفسه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووطن نفسه على الموت، فنزل فيه (عليه السلام): (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله، والله رؤوف بالعباد)، «البقرة ۲۰۷».

۴ وقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار «الصواعق المحرقة الحديث الثانى من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام».

۵ وفى ذلك قال فقيه المعتزلة ابن أبى الحديد فى قصيدته العينية:

يا قالع الباب الذى عن فتحه عجزت أكف أربعون وأربع

۶ نعم قيض الله رجالاً من أمثال حجر بن عدى الطائى، وعمرو بن الحمق الخزاعى، وميثم التمار، وسعيد ابن جبير وأمثال هؤلاء على مر التاريخ ممن ضحى بنفسه فى بيان فضائله (عليه السلام) وإبلاغ مناقبه ومآثره إلى الأجيال جيلاً بعد جيل.

۷ آل عمران ۶۱: (فمن حاجَّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءَنا ونساءَكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين).

۸ وقال تعالى فى كتابه العزيز: (إنَّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً) الأحزاب ۵۷.

۹ إذا كان الساب لعلىّ (عليه السلام) ساباً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فما حكم من سن سب على عليه السلام حتى جروا عليه سبعين عاماً؟!

۱۰ وهنا قصة مفصلة لم يتعرض الراوى لها ينبغى مراجعتها فى مظانها لنرى كيف لم يرتض الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من صلى بهم الغداة يومئذ حيث جذبه (صلى الله عليه وآله وسلم) من ردائه واستأنف الصلاة بهم.

۱۱ وفى كثير من الأحاديث كتاب الله وعترتى مع أن سنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كما رأيت فيما مر عليك من الأحاديث تؤكد على اختيار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) بأمر من الله تعالى وصياً وإماماً وخليفة من بعده.

۱۲ لقد اعترف كما رأيت بأن علياً (عليه السلام) اقضاهم. ۱۳ بل ومعجزة أيضاً.

۱۴ لا تردد فى ذلك، وهل يتردد فى عود الوقت من فاتته العصر، فسافر مثلاً بالطائرة إلى بلد أدرك فيه الوقت بعدم غروب الشمس فيها؟.

۱۵ إن صح منه (عليه السلام) هذا الكلام، فهو تلقين لنا وليس له، لأنه عليه السلام كما مر فى الحديث التاسع من فضائله هو: باب مدينة علم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن على من يريد العلم أن يأت الباب.

۱۶ فى صحة نسبة مثل القىء والرعاف وإنه من الشيطان إلى كلامه (عليه السلام) نظر.

۱۷ و۱۸ بل إن الإمام (عليه السلام) اعترض على قاضيه لما لم يساو بينهما.

۱۹ البقرة: ۲۷۴.

۲۰ بل أراد عقيل الزيادة عما كان عليه سهمه من بيت المال كما جاء فى نهج البلاغة الخطبة: ۲۲۴ لا أنه (عليه السلام) نقصه.

۲۱ بل سبب اغتيال الإمام وشهادته (عليه السلام) هو: تآمر الأعداء ومكيدتهم، وعدم وعى الأمة قادتها الحقيقيين، حيث قرنوا ابن عم الرسول ووصيّه وأول السابقين إلى الإسلام والذابّين عن حرم الله ورسوله والمؤمنين بأمثال معاوية وابن العاص.

۲۲ بل ليلة تاسع عشر.

۲۳ بل كان الإمام (عليه السلام) فى محراب مسجد الكوفة، وقد دخل فى الصلاة وائتمّ الناس به.

۲۴ بل قال له: أبئس الإمام كنت لك حتّى جازيتنى بهذا الجزاء؟ فقال وقد دمعت عيناه: يا أمير المؤمنين «أفأنت تنقذ مَن فى النار؟» فقال (عليه السلام): صدقت، ثم أوصى به خيراً.

۲۵ بل بالغرى حيث مشهده الشريف اليوم.

۲۶ بل اقتصوا منه كما أوصى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ابنه الحسن (عليه السلام) بأنه ولىّ الدم وله حقّ العفو، وإذا أراد القصاص فضربة بضربة.

۲۷ قد عرفت أنه بالغرى حيث مرقده الشريف إلى اليوم مزار الملايين.

۲۸ وهو الصحيح. ۲۹ الأحزاب: ۲۳.

فى خلافته (ع)

هو آخر الخلفاء الراشدين(۱) بنص جدّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ولى الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة، فأقام بها ستة أشهر وأياماً، خليفة حق وإمام عدل وصدق تحقيقاً لما أخبر به جده الصادق المصدوق (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: الخلافة بعدى ثلاثون سنة(۲) فإن تلك الستة أشهر هى المكملة لتلك الثلاثين، فكانت خلافته منصوصاً عليها، وقام عليها إجماع من ذكر، فلا مَرية فى حقيقتها.

فى فضائله (ع)

الحديث الأول:

أخرج الشيخان عن البراء، قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والحسن على عاتقه، وهو يقول: اللهم إنى أحبّه فأحبّه.

الحديث الثانى:

أخرج البخارى عن أبى بكر قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: إن ابنى هذا سيّد، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين(۳) من المسلمين.

الحديث الثالث:

أخرج البخارى عن ابن عمر، قال: قال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): هما ريحانتاى من الدنيا يعنى الحسن والحسين.

الحديث الرابع:

اخرج الترمذى والحاكم عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة.

الحديث الخامس:

أخرج الترمذى عن أسامة بن زيد قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والحسن والحسين على وركيه، فقال: هذان ابناى وابنا ابنتى، اللهم إنّى أحبّهما فأحبهما وأحبّ من يحبهما.

الحديث السادس:

أخرج الترمذى عن أنس قال: سُئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أى أهل بيتك أحبّ إليك؟ قال: الحسن والحسين.

الحديث السابع:

أخرج الحاكم عن ابن عباس قال: أقبل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد حمل الحسن على رقبته، فلقيه رجل فقال: نعم المركب ركبتَ يا غلام، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ونعم الراكب هو.

الحديث الثامن:

أخرج أبو سعد عن عبد الله بن عبد الرحمن بن الزبير قال: أشبه أهل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وأحبهم إليه الحسن، ما رأيته يجىء وهو ساجد فيركب رقبته، أو قال ظهره، فما ينزله حتى يكون هو الذى ينزل، ولقد رأيته وهو راكع فينفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر.

الحديث التاسع:

أخرج ابن سعد عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يدفع لسانه للحسن بن على فإذا رأى الصبى حمرة اللسان يهش إليه.

الحديث العاشر:

أخرج الحاكم عن زهير بن الأرقم قال: قام الحسن بن على يخطب، فقام رجل من أزدشنواة فقال: أشهد لقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واضعه على حبوته وهو يقول: من أحبنى فليحبه وليبلغ الشاهد الغائب، ولولا ـ كرامة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ما حدثت به أحداً.

الحديث الحادى عشر:

أخرج أبو نعيم فى الحلية عن أبى بكر، قال: كان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلى بنا فيجىء الحسن وهو ساجد وهو ذاك صغير فيجلس على ظهره مرة وعلى رقبته، فيرفعه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) رفعاً رقيقاً، فلما فرغ من الصلاة قالوا: يا رسول الله إنك تصنع بهذا الصبى شيئاً لا تصنعه بأحد، فقال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): إن هذا ريحانتى وإن هذا ابنى سيد وحسبى أن يصلح الله تعالى به بين فئتين(۴) من المسلمين.

الحديث الثانى عشر:

أخرج الشيخان عن أبى هريرة: أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: اللهم إنى أحبّه وأحبّ من يحبّه، يعنى الحسن.

وفى رواية: اللهم إنى أحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه.

قال أبو هريرة: فما كان أحد أحبّ إلىّ من الحسن بعد أن قال (صلى الله عليه وآله وسلم) ما قال.

وفى حديث أبى هريرة أيضاً عن الحافظ السلفى قال: ما رأيت الحسن بن على قط إلا ـ فاضت عيناى دموعاً، وذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج يوماً وأنا فى المسجد فأخذ بيدى واتكأ علىّ حتى جئنا سوق بنى قينقاع، فنظر فيه ثم رجع حتى جلس فى المسجد، ثم قال: ادعُ ابنى، قال: فأتى الحسن بن على يشتد حتى وقع فى حجره فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يفتح فمه ثم يدخل فمه فى فمه ويقول: اللهم إنى أحبه فأحبه، وأحب من يحبه ثلاث مرّات.

وروى أحمد: من أحبنى وأحب هذين، يعنى حسناً وحسيناً، وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة..

ورواه الترمذى بلفظ: كان معى فى الجنة.

فى بعض مآثره (ع)

كان سيداً كريماً حليماً زاهداً ذا سكينة ووقار وحشمة، جواداً ممدوحاً، وسيأتى بسط شىء من ذلك.

أخرج أبو نعيم فى الحلية أنه قال: إنى لأستحى من ربى أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته، فمشى خمس وعشرين حجة.

وأخرج الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: لقد حج الحسن خمساً وعشرين حجة ماشياً، وإن النجائب لتقاد بين يديه.

وأخرج أبو نعيم أنه خرج من ماله مرتين وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات حتى أنه كان ليعطى نعلاً ـ ويمسك نعلاً ـ ويعطى خفاً ويمسك خفاً.

وسمع رجلاً يسأل ربه عزّ وجل عشرة آلاف درهم فبعث بها إليه.

وجاءه رجل يشكو إليه حاله وفقره وقلة ذات يده بعد أن كان مثرياً، فقال: ما هذا حق سؤالك، يعظم لدى معرفتى بما يجب لك، ويكبر على ويدى تعجز عن نيلك ما أنت أهله، والكثير فى ذات الله قليل، وما فى ملكى وفاء لشكرك، فإن قبلت الميسور ودفعت عنى مؤنة الاحتفال والاهتمام لما أتكلفه فعلت، فقال: يا ابن بنت رسول الله أقبل القليل، وأشكر العطية، وأعذر على المنع، فأحضر الحسن وكيله وحاسبه وقال: هات الفاضل، فأحضر خمسين ألف درهم وقال: ما فعلت فى الخمسمائة دينار التى معك؟ قال: هى عندى، قال: أحضرها، فأحضرها فدفعها والخمسين ألفاً إلى الرجل واعتذر.

وإضافته هو والحسين وعبد الله بن جعفر عجوزاً فأعطاها ألف دينار وألف شاة، وأعطاها الحسين مثل ذلك، وأعطاها عبد الله بن جعفر مثلهما ألفى شاة وألفى دينار.

وأخرج البزاز وغيره عنه: أنه لما استخلف، بينما هو يصلى إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر وهو ساجد، ثم خطب أناس، فقال:

يا أهل العراق اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل البيت الذين قال الله فيهم: (إنما يريد الله ليُذهِب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً)(۵) فما زال يقولها حتى ما بقى أحد فى المسجد إلا وهو يبكى.

وأخرج ابن سعد عن عمير بن إسحاق أنه لم يسمع منه كلمة فحش إلا مرة كان بينه وبين عمرو بن عثمان بن عفان خصومة فى أرض فقال: ليس له عندنا إلّا ما أرغم أنفه، قال: فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه.

وأرسل إليه مروان يسبه وكان عاملاً على المدينة ويسب علياً كل جمعة على المنبر فقال الحسن لرسوله: ارجع إليه فقل له: إنى والله لا أمحو عنك شيئاً مما قلت بأن أسبّك، ولكن موعدى وموعدك الله، فإن كنت صادقاً فجزاك الله خيراً بصدقك، وإن كنت كاذباً فالله أشدّ نقمة.

وأغلظ عليه مروان مرة وهو ساكت ثم امتخط بيمينه، فقال له الحسن: ويحك أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج أفّ لك، فسكت مروان.

ولمّا مات بكى مروان فى جنازته، فقال له الحسين: أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرّعه؟ فقال: إنى كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا، وأشار بيده إلى الجبل.

وأخرج ابن عساكر أنه قيل له: أباذر يقول: الفقر أحب من الغنى، والسقم أحب من الصحة إليّ، فقال: رحم الله أباذر، أمّا أنا فأقول: من اتكل إلى حسن اختيار الله لم يتمنّ أنه فى غير الحالة التى اختار الله له.

وكان عطاؤه كل سنة مائة ألف، فحبسها عنه معاوية فى بعض السنين، فحصل له إضاقة شديدة قال: فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسى، ثم أمسكت، فرأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى المنام فقال: كيف أنت يا حسن؟ فقلت: بخير يا أبة، وشكوت إليه تأخّر المال عنى، فقال: أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره بذلك؟(۶) قلت: نعم يا رسول الله فكيف أصنع؟ فقال: قل: «اللهمّ اقذف فى قلبى رجاءك، واقطع رجائى عمّن سواك حتى لا أرجو أحداً غيرك، اللهمّ وما ضعفت عنه قوّتى وقصر

عنه عملى ولم تنته إليه رغبتى ولم تبلغه مسألتى ولم يجرِ على لسانى مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين فخصّنى به يا أرحم الراحمين» قال: فوالله ما أنجحت فيه أسبوعاً حتى بعث إلىّ معاوية بألف ألف وخسمائة ألف، فقلت: الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا يخيب من دعاه.

فرأيت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى المنام فقال: يا حسن كيف أنت؟ فقلت: بخير يا رسول الله، وحدّثته بحديثى، فقال: يا بنى هكذا من رجا الخالق ولم يرجُ المخلوق.

ثم دُفن بالبقيع إلى جنب أمه، وكان سبب موته أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندى دسّ إليها يزيد أن تسمّه ويتزوّجها وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت، فمرض أربعين يوماً، فلما مات بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها، فقال لها: إنا لم نرضك للحسن فنرضاك لأنفسنا؟

وبموته مسموماً شهيداً جزم غير واحد من المتقدمين كقتادة وأبى بكر بن حفص والمتأخرين كالزين العراقى فى مقدمة شرح النقيب.

وكانت وفاته سنة تسع وأربعين، أو خمسين(۷)، أو إحدى وخمسين، أو ست وخمسين، ومنهم من قال: سنة تسع وخمسين، وجهد به أخوه أن يخبره بمن سقاه فلم يخبره، وقال: الله أشدّ نقمة إن كان الذى أظن وإلا فلا يقتل بى والله برىء.

وفى رواية: يا أخى قد حضرت وفاتى ودنا فراقى لك وإنى لاحق بربى وأجد كبدى تقطع وإنى لعارف من أين دهيت، فأنا أخاصمه إلى الله تعالى فبحقّى عليك لا تكلّمت فى ذلك بشىء، فإذا أنا قضيت نحبى فقمّصنى وغسّلنى وكفّنى واحملنى على سريرى إلى قبر جدى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أجدّد به عهداً، ثم ردنى إلى قبر جدّتى فاطمة بنت أسد فادفنّى هناك، وأقسم عليك بالله أن لا تريق فى أمرى بحّة دم.

وفى رواية: إنى يا أخى سقيت السم ثلاث مرات لم أسقه مثل هذه المرة، فقال: من سقاك؟ قال: ما سؤالك عن هذا تريد أن تقاتلهم؟ أكل أمرهم إلى الله.

أخرجه ابن عبد البر.

وفى أخرى: لقد سقيت السم مراراً ما سقيته مثل هذه المرة، ولقد لفظت طائفة من كبدى فرأيتنى أقلبها بعود، فقال له الحسين: أى أخى من سقاك؟ قال: وما تريد إليه أتريد أن تقتله؟ قال: نعم، قال: لئن كان الذى أظن فالله أشد نقمة وإن كان غيره فلا يقتل بى برىء.

ورأى كان مكتوباً بين عينيه قل هو الله أحد، فاستبشر به هو وأهل بيته فقصّوها على ابن المسيّب، فقال: إن صدقت رؤياه فقلّ ما بقى من أجله، فما بقى إلا أياماً حتى مات.

ودفن عند جدته بنت أسد بقبته المشهورة وعمره سبع وأربعون سنة، كان منها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سبع سنين، ثم مع أبيه ثلاثون سنة، ثم خليفة ستة أشهر، ثم تسع سنين ونصف سنة بالمدينة.

۱ بل إنه (عليه السلام) حسب تنصيص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الغدير وغيره: هو الإمام الثانى بعد أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، حيث نص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على أوصياء اثنى عشر وقال كما رواه الفريقان: عدد أوصيائى عدد نقباء بنى إسرائيل.

۲ على فرض صحّة الحديث له تأويل آخر يطلب من مظانه.

۳ لهذا الحديث توضيح وهو: أنّ معاوية وفئته قد نصّ عليهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كما نقله الفريقان: بأنّهم الفئة الباغية، حيث قال لعمّار: تقتلك الفئة الباغية، وقد قتل عمّار فى صفّين على يدى معاوية وفئته، وصدق الله ورسوله.

۴ فيه توضيح أشرنا إليه فى الحديث الثانى.

۵ الأحزاب: ۳۳.

۶ إن صحّ الحديث فهو تعليم لنا، وإلا فسبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أوسع من ذلك.

۷ وهو الصحيح.

زواج على وفاطمة (ع)

ولنقدم على ذلك أصله، وهو تزويج النبى (ص) فاطمة من على كرم الله وجههما، وذاك أواخر السنة الثانية من الهجرة على الأصح، وكان سنّها خمس عشرة سنة ونحو نصف سنة(۱)، وسنّه إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر، ولم يتزوّج عليها حتى ماتت عن أنس، كما عن ابن أبى حاتم، ولأحمد نحوه قال:

جاء أبو بكر وعمر يخطبان فاطمة إلى النبى (ص) فسكت ولم يرجع إليهما شيئاً، فانطلقا إلى على كرّم الله وجهه يأمرانه بطلب ذلك، قال على: فقمت أجرّ ردائى حتى أتيت إلى النبى (ص) فقلت: تزوّجنى فاطمة؟ قال: وعندك شىء؟ قلت: فرسى وبدنى، فقال: أما فرسك فلا بدّ لك منها، وأما بدنك فبعها.

قال (ص): ثم بعتها بأربعمائة وثمانين، فجئته بها فوضعها فى حجره فقبض منها قبضة فقال: أى بلال ابتع لنا بها طيباً، وأمرهم أن يجهزّوها، فجعل لها سرير مشروط ووسادة من أدم حشوها ليف، وقال لعلى: إذا أتتك فلا تحدث شيئاً حتى آتيك، فجاءت مع أم أيمن، فقعدت من جانب البيت وأنا فى جانب، وجاء رسول الله (ص) فقال: ههنا أخى، فقالت أم أيمن: أخوك وقد زوّجته ابنتك؟ قال: نعم، ودخل (ص) فقال لفاطمة: ائتنى بماء، فقامت إلى قعب فى البيت فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه ثم قال لها: تقدّمى، فتقدّمت، فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال: اللهم إنى أعيذها بك وذريّتها من الشيطان الرجيم، ثم قال لها: أدبرى فأدبرت فصبّه بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك لعلى ثم قال: ادخل بأهلك بسم الله والبركة.

وفى رواية أخرى عن أنس أيضاً عن أبى الخير القزوينى الحاكمى: خطبها بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر فقال: قد أمرنى ربّى بذلك، قال أنس: ثم دعانى النبى (ص) بعد أيام فقال: ادعُ أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وعدّة من الأنصار، فلما اجتمعوا وأخذوا مجالسهم وكان على غائباً قال (ص):

الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع سلطانه، المرهوب من عذابه وسطوته، النافذ أمره فى سمائه وأرضه، الذى خلق الخلق بقدرته وميّزهم بأحكامه، وأعزّهم بدينه، وأكرمهم بنبيّه محمد (ص)، إن الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سبباً لا احتقار، وأمراً مفترضاً أوشج به الأرحام أى ألف بينها وجعلها مختلطة مشتبكة، وألزم الأنام فقال عزّ من قائل: (وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربّك قديراً)(۲) فأمر الله تعالى يجرى إلى قضائه وقضاؤه يجرى إلى قدره، ولكل قضاء قدر، ولكل أجل كتاب، يمحو الله ما يشاء ويُثبت وعنده أم الكتاب.

ثمّ إنّ الله تعالى أمرنى أن أزوّج فاطمة من على بن أبى طالب، فاشهدوا أنى قد زوّجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضى بذلك على.

ثم دعا (ص) بطبق من بُسر ثم قال: انتبهوا، فانتبهنا، ودخل على فتبسّم النبى (ص) فى وجهه ثم قال: إنّ الله عز وجل أمرنى أن أزوّجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضّة، أرضيت بذلك؟ قال: رضيت بذلك يا رسول الله، فقال (ص): جمع الله شملكما وأعزّ جدّكما وبارك عليكما وأخرج منكما كثيراً طيّباً.

قال أنس: فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيّب.

فى الآيات الواردة فى أهل البيت (ع)

الآية الأولى:

قال الله تعالى: (إنّما يريد الله ليُذهب عنكُمُ الرّجس أهل البيت ويُطهّرُكُم تطهيراً)(۳) أكثر المفسّرين على أنّها نزلت فى على وفاطمة

والحسن والحسين، لتذكير ضمير (عنكم) وما بعده، وأهل بيته نسبه، وهم من تحرم الصدقة عليهم، واعتمده جمع ورجحوه، وأيده ابن كثير بأنهنّ سبب النزول وهو داخل قطعاً، أما وحده على قول أو مع غيره على الأصح ورد فى ذلك أحاديث.

ولنذكر من تلك الأحاديث جملة فنقول:

أخرج أحمد عن أبى سعيد الخدرى: أنها نزلت فى خمسة: النبى (ص) وعلى وفاطمة والحسن والحسين.

وأخرجه الطبرانى أيضاً.

ولمسلم أنه (ص) أدخل أولئك تحت كساء عليه وقرأ هذه الآية.

وصحّ أنه (ص) جعل على هؤلاء كساء وقال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتى وحامّتى أى خاصتى أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فقالت أم سلمة: وأنا معهم؟ قال: إنك على خير.

وفى رواية أنه قال بعد تطهيراً: أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدوّ لمن عاداهم.

وفى أخرى: ألقى عليهم كساءً ووضع يده عليهم ثم قال: اللهمّ إنّ هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميد مجيد.

وفى أخرى: إن الآية نزلت ببيت أم سلمة، فأرسل (ص) إليهم وجلّلهم بكساء ثم قال نحو ما مرّ.

وفى أخرى: أنهم جاؤوا واجتمعوا فنزلت، فإن صحّت حمل على نزولها مرّتين.

وفى أخرى: أنه قال: اللهمّ أهلى أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ثلاثاً، وإن أم سلمة قالت له: ألستُ من أهلك؟ قال: بلى؟ وأنه أدخلها الكساء(۴) بعد ما قضى دعاءه لهم.

وفى أخرى: أنه لما جمعهم ودعا لهم بأطول مما مرّ، قال واثلة: وعلىّ يا رسول الله؟ فقال: اللهمّ وعلى واثلة.

وفى رواية صحيحة قال واثلة: وأنا من أهلك؟ قال: وأنت من أهلى(۵)، قال واثلة: إنها لمن أرجى ما أرجو.

قال البيهقى: وكأنه جعله فى حكم الأهل تشبيهاً بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقاً.

وأشار المحب الطبرى إلى أن هذا الفعل تكرّر منه (ص) فى بيت أم سلمة وبيت فاطمة وغيرهما، وبه جمع بين اختلاف الروايات فى هيئة اجتماعهم، وما جللهم به وما دعا به لهم وما أجاب به واثلة وأم سلمة وأزواجه.

ويؤيّد ذلك رواية أنه قال نحو ذلك لهؤلاء، وهم فى بيت فاطمة.

وصحّ عن أم سلمة: فقلت: يا رسول الله أنا من أهل البيت؟ فقال: بلى(۶) إن شاء الله.

فى الحديث الحسن أنه (ص) اشتمل على العبّاس(۷) وبنيه بملاءة ثم قال: يا ربّ هذا عمّى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى إياهم بملاءتى هذه، فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت، فقال آمين وهى ثلاثاً.

وقد ورد عن الحسن من طرق تعينها، سنده حسن: وأنا من أهل البيت الذى أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فبينت النسب مراد فى الآية كبيت السكنى، ومن ثم أخرج مسلم عن زيد بن أرقم أنه لما سئل: أنساؤه من أهل بيته؟ فقال: نساؤه من أهل بيته(۸)، ولكن أهل بيته من حرّم الله الصدقة عليهم، فأشار إلى أن نساءه من أهل بيت سكناه الذين امتازوا بكرامات وخصوصيات أيضاً، لا من أهل بيت نسبه، وإنما أولئك من حرمت عليهم الصدقة.

ثم هذه الآية منبع فضائل أهل البيت النبوى لاشتمالها على قدر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بإنما المفيدة لحصر إرادته تعالى فى أمرهم على إذهاب الرجس الذى هو الإثم أو الشك فيما يجب الإيمان به عنهم وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة، وسيأتى فى بعض الطرق تحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته، إذ منه إلهام الإنابة إلى الله تعالى وإدامة الأعمال الصالحة، ومن ثّم لمّا ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكاً ولذا لم تتم للحسن عُوضوا عنها بالخلافة(۹) الباطنة حتى قال قوم إلى قطب الأولياء فى كل لا يكون إلا منهم، وممن قال: يكون من غيرهم الإسناد أبو العباس المرسى كما نقله عنه

تلميذه التاج بن عطاء الله، ومن تطهيرهم: تحريم صدقة الفرض بل والنفل على قول لما لك عليهم لأنها أوساخ الناس مع كونها تنبئ عن ذل الآخذ وعزّ المأخوذ منه.

وعوّضوا عنها خمس الفيء والغنيمة المنبئ عن عزّ الآخذ وذلّ المأخوذ منه.

ومن ثّمّ كان المعتمد دخول أهل النسب فى الآية وحكمة ختم الآية بتطهير المبالغة فى وصولهم لأعلاه، وفى رفع التجوّز عنه، ثم تنوينه تنوين التعظيم والتكثير والإعجاب المفيد إلى أنه ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف.

ثمّ أكّد (ص) ذلك كله بتكرير طلب ما فى الآية لهم بقوله: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتى» إلى آخر ما مر، وبإدخاله نفسه معهم فى العدّ لتعود عليهم بركة اندراجهم فى سلكه.

بل فى رواية: إنه اندرج معهم جبرئيل وميكائيل إشارة إلى علوّ قدرهم.

وأكّده أيضاً بطلب الصلاة عليهم بقوله: فاجعل صلاتك إلى آخر ما مر.

وأكّده أيضاً بقوله: أنا حرب لمن حاربهم إلى آخر ما مرّ أيضاً.

وفى رواية: إنه قال بعد ذلك: ألا من آذى قرابتى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى.

وفى أخرى: والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد بى حتى يحبنى ولا يحبنى حتى يحب ذوىّ، فأقامهم مقام نفسه، ومن ثم صح أنه (ص) قال: إنّى تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلُّوا كتاب الله وعترتى.

وألحقوا به أيضاً فى قصة المباهلة فى آية(قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم)الآية فغدا (ص) محتضناً الحسن آخذاً بيد الحسين وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفهما، وهؤلاء هم أهل الكساء فهم المراد فى آية المباهلة كما أنهم من جملة المراد بآية(إنّما يُريد اللهُ ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت).

الآية الثانية:

قوله تعالى: (إنّ الله وملائكته يُصلون على النبى يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما) صحح عن كعب بن عجزة قال: لما نزلت الآية قلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلّم عليك فكيف نصلّى عليك؟ فقال: قولوا: اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمد إلى آخره، دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاة على أهل بيته وبقية آله مراد من هذه الآية، وإلا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها ولم يجابوا بما ذكر، فلما أجيبوا به دلّ على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به، وأنه (ص) أقامهم فى ذلك مقام نفسه، لأن القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم.

ومن ثمّ لمّا أدخل من مرّ فى الكساء قال: اللهمّ إنهم منّى وأنا منهم، فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك علىّ وعليهم، وقضية استجابة هذا الدعاء أن الله صلّى عليهم معه فحينئذ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه.

ويروى: لا تصلّوا علىّ الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون اللهم صلّ على محمّد وتمسكون، بل قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، ولا ينافى ما تقرّر حذف الآل(۱۰) فى الصحيحين قالوا: يا رسول الله كيف نصلّى عليك؟ قال: قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى أزواجه(۱۱) وذريّته، كما صلّيت على إبراهيم ... إلخ، لأن الآل ثبت فى روايات أخر، وبه يعلم أنه (ص) قال ذلك كله فحفظ بعض الرواة ما لم يحفظه الآخر.

روى أبو داود: من سرّه أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلّى علينا أهل البيت فليقل: اللهم صلّ على النبى محمّد وأزواجه(۱۲) أمهات المؤمنين وذريّته وأهل بيته كما صلّيت على إبراهيم إنك حميد مجيد.

وقولهم: علّمنا كيف نسلّم عليك؟ أشاروا به إلى السلام عليه فى التشهّد، كما قاله البيهقى وغيره.

ويدلّ له خبر مسلم: أمرنا الله أن نصلى، فسكت النبى (ص) حتى تمنينا أننا لم نسأله، ثم قال (ص) قولوا: اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، الحديث.

وزاد آخره: والسلام كما قد علمتم أى: من العلم.

ويروى من التعليم لأنه (ص) كان يعلمهم التشهّد كما يعلمهم السورة.

وصحّ أن رجلاً قال: يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلّى عليك؟ إذ نحن صلينا عليك فى صلاتنا صلى الله عليك؟ فصمت (ص) حتى أحببنا أن الرجل لم يسأله فقال: إذا أنتم صلّيتم علىّ فقولوا: اللهمّ صلّ على محمد النبى الأمى وعلى آل محمد، الحديث.

وصح أيضاً أنه (ص) سمع رجلاً يدعو فى صلاته لم يمجّد الله ولم يصلّ على النبى (ص) فقال: عجل هذا، ثم دعاه فقال له أو لغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربّه والثناء عليه، ثم يصلّى على النبى (ص) ثم يدعو بما شاء ومحل البدأة بالتحميد والثناء على الله تعالى جلوس التشهّد.

وبهذا كله اتّضح قول الشافعى: بوجوب الصلاة على النبى (ص) فى التشهّد لما علمت منه أنه صح منه (ص) الأمر بوجوبها فيه، ومن أنه صحّ عن ابن مسعود تعيين محلّها وهو بين التشهّد والدعاء، فكان القول بوجوبها لذلك الذى ذهب إليه.

واعلم أن النووى نقل عن العلماء كراهة إفراد الصلاة والسلام عليه، ومن ثّم قال بعض الحفّاظ: كنت أكتب الحديث فاكتب الصلاة فقط فرأيت النبى (ص) فى النوم فقال: أما تتم الصلاة فى كتابك؟ فما كتبت بعد ذلك إلّا صليت عليه وسلّمت، ولا يحتج بتعليمهم كيفيّة الصلاة السابقة، لأن السلام سبقها فى التشهّد فلا إفراد فيه، وللشافعى:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله فى القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

فيحتمل لا صلاه له صحيحة، فيكون موافقاً لقوله بوجوب الصلاة على الآل ويحتمل لا صلاة كاملة فيوافق أظهر قوليه.

الآية الثالثة:

قوله تعالى: (سلامٌ على آل ياسين)(۱۳) فقد نقل جماعة من المفسّرين عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بذلك سلام على آل محمد، وكذا قاله الكلبى، عليه فهو (ص) داخل بالطريق الأولى أو بالنص كما فى: اللهمّ صل على آل أبى أوفى.

تنبيه:

ذكر الفخر الرازى: أن أهل بيته (ص) يساوونه فى خمسة أشياء: فى السلام، قال: السلام عليك أيها النبى، وقال: سلامٌ على آل ياسين، وفى الصلاة عليه وعليهم فى التشهّد، وفى الطهارة، قال تعالى: «طه» (۱۴) أى: يا طاهر، وقال: «ويطهّركم تطهيراً» (۱۵)، وفى تحريم الصدقة، وفى المحبّة قال تعالى: (فاتّبعونى يُحببكم الله)(۱۶) وقال: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القُربى)(۱۷).

الآية الرابعة:

قوله تعالى: (وقفوهم إنّهم مسؤولون)(۱۸).

أخرج الديلمى عن أبى سعيد الخدرى: أن النبى (ص) قال: (وقفوهم إنهم مسؤولون) أى: عن ولاية علىّ.

وكأن هذا هو مراد الواحدى بقوله: روى فى قوله تعالى: (وقفوهم إنّهم مسؤولون) عن ولاية على وأهل البيت، لأن الله أمر نبيه (ص) أن يعرف الخلق أنه لا يسأله على تبليغ الرسالة أجراً إلاّ المودة فى القربى، والمعنى أنهم يسألون هل والوهم حق الموالاة(۱۹) كما أوصاهم النبى (ص) أم أضاعوها وأهملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعة، انتهى.

وأشار بقوله: كما أوصاهم النبى (ص) إلى الأحاديث الواردة فى ذلك وهى كثيرة، وسيأتى جملة فى الفصل الثانى.

ومن ذلك حديث مسلم عن زيد بن أرقم قال: قام فينا رسول الله (ص) خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أمّا بعد أيّها الناس إنّما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتينى رسول ربّى عزّ وجل فأجيبه وإنى تارك فيكم الثقلين، أولهما: كتاب الله عزّ وجل، فيه الهدى والنور، فتمسّكوا بكتاب الله عزّ وجل وخذوا به، وحث فيه ورغب فيه، ثمّ قال: وأهل بيتى أذكركم الله عزّ وجل فى أهل بيتى ثلاث مرات،

فقيل لزيـد: من أهل بيته أليس نساءه من أهل بيته؟ قال: بلى إنّ نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقـة بعده، قال: ومن هم؟ قال: آل على وآل عقيل وآل عباس(۲۰)، قال: كلّ هؤلاء حرم عليهم الصدقة؟ قال: نعم.

وأخرج الترمذى: أنه (ص) قال: إنى تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدى، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله عزّ وجل حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى ولن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفونى فيهما.

وأخرج أحمد فى مسنده بمعناه، ولفظه أنى: أوشك أن أدعى فأجيب وإنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى، وإن اللّطيف الخبير أخبرنى أنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض فانظروا بم تخلفونى فيهما.

وسنده لا بأس به.

وفى رواية: إن ذلك كان فى حجة الوداع.

وفى أخرى: مثله يعنى كتاب الله كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومثلهم أى أهل بيته كمثل باب حطّة من دخله غفرت له الذنوب.

وذكر ابن الجوزى لذلك فى العلل المتناهية وهم أو غفلة عن استحضار بقية طرقه، بل مسلم عن زيد بن أرقم أنه (ص) قال ذلك يوم غـدير خُم وهو مـاء بالجحفـة كما مر، وزاد: أذكركم الله فى أهل بيتى، قلنا لزيـد: من أهل بيته نساؤه؟ قال: لا، أيم الله أن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أهله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده.

وفى رواية صحيحة إنّى تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن تبعتموهما وهما: كتاب الله وأهل بيتى عترتى.

زاد الطبرانى: إنى سألت ذلك لهما فلا تقدموهما(۲۱) فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم.

وفى رواية: كتاب الله وسنتى.

وهى المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب(۲۲)، لأنّ السنّة مبيّنة له فأغنى ذكره عن ذكرها.

ثم اعلم أن فى الحـديث التمسّـك بـذلك طرقـاً كثيرة، ورد على نيف وعشـرين صـحابياً، وفى بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة.

وفى أخرى: أنه قاله بالمدينة فى مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه.

وفى أبى: أنه قال ذلك بغدير خم.

وفى أخرى: أنه قـاله لما كان خطيباً بعـد انصـرافه من الطائف كما مرّ، ولا يتنافى، إذ لا مانع من أنه كرّر عليهم(۲۳) فى تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة.

وفى رواية عند الطبرانى عن ابن عمر: آخر ما تكلّم به النبى (ص): أخلفونى فى أهل بيتى.

وفى أخرى عند الطبرانى وأبى الشيخ: إن لله عزّ وجل ثلاث حرمات فمن حفظهنّ حفظ الله دينه ودنياه، ومن لم يحفظهنّ لم يحفظ الله دنياه ولا آخرته، قلت: ما هنّ؟ قال: حرمة الإسلام وحرمتى وحرمة رحمى.

وفى رواية للبخارى عن الصديق من قوله: يا أيّها الناس ارقبوا محمّدا (ص) فى أهل بيته، أى: احفظوه فيهم فلا تؤذوهم.

وأخرج ابن سـعد والملا فى سيرته أنه (ص) قال: استوصوا بأهل بيتى خيراً فإنى أخاصمكم عنهم غداً، ومن أكن خصمه أخصمه، ومن أخصمه دخل النار، وإنه قال: من حفظنى فى أهل بيتى فقد اتّخذ عند الله عهداً.

وأخرج الأول: أنا وأهل بيتى شجرة فى الجنّة وأغصانها فى الدنيا فمن شاء اتخذ إلى ربّه سبيلاً.

والثـانى حـديث: فى كـل خلـف من أمّـتى عـدول من أهـل بيـتى ينفون عن هـذا الـدين تحريف الضّـالين وانتحـال المبطلين، وتـأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عزّ وجل فانظروا من توفدون.

وأخرج أحمد خبر: الحمد لله الذى جعل فينا الحكمة أهل البيت.

وفى خبر حسن: ألا إن عيبتى وكرشى أهل بيتى والأنصار، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم.

تنبيه:

سمى رسول الله (ص) القرآن وعترته وهى بالمثناة الفوقية الأهل والنسل والرهط الأدنون ثقلين، لأن الثقل كل نفيس خطير مصون، وهذان كذلك إذ كل منهما معدن للعلوم الدينية والأسرار والحكم العلية والأحكام الشرعية، ولذا حثّ (ص) على الاقتداء والتمسّك بهم والتعلّم منهم، وقال: الحمد لله الذى جعل فينا الحكمة أهل البيت.

وقيل: سمّيا ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما.

ثم الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنّة رسوله، إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض.

ويؤيّده الخبر السابق: ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم، وتميّزوا بذلك عن بقيّة العلماء، لأنّ الله أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وشرّفهم بالكرامات الباهرة، والمزايا المتكاثرة، وقد مرّ بعضها، وسيأتى الخبر الذى فى قريش: وتعلّموا منهم فإنّهم أعلم منكم، فإذا ثبت هذا العموم(۲۴) لقريش فأهل البيت أولى منهم بذلك، لأنهم امتازوا عنهم بخصوصيات لا يشاركهم فيها بقية قريش.

وفى أحاديث الحث على التمسّك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسّك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتى، ويشهد لذلك الخبر السابق: فى كل خلف من أمّتى عدول من أهل بيتى إلى آخره.

ثم أحق من يتمسّك به منهم(۲۵) إمامهم وعالمهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته.

والمراد بالعيبة والكرش فى الخبر السابق آنفاً أنهم موضع سرّه وأمانته ومعادن نفائس معارفه وحضرته، إذ كل من العيبة والكرش مستودع لما يخفى فيه مما به القوام والصلاح، لأن الأول لما يحرز فيه نفائس الأمتعة، والثانى مستقر الغذاء الذى به النموّ وقوام البنية.

وقيل: هما مثلان لاختصاصهم بأموره الظاهرة والباطنة، إذ مظروف الكرش باطن والعيبة ظاهر، وعلى كلّ فهذا غاية فى التعطّف عليهم والوصيّة بهم.

الآية الخامسة:

قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا)(۲۶).

أخرج الثعلبى فى تفسيرها عن جعفر الصادق (سلام الله عليه) أنه قال: نحن حبل الله الذى قال الله فيه: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا».

وكان جدّه زين العابدين إذا تلا قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصادقين)(۲۷) يقول دعاءً طويلاً يشتمل على طلب اللّحوق بدرجة الصادقين والدرجات العليّة على وصف المحق وما انتحلته المبتدعة المفارقون لأئمّة الدين والشجرة النبوية ثم يقول: وذهب آخرون إلى التقصير فى أمرنا احتجوا بمتشابه القرآن فتأوّلوا بآرائهم واتهموا مأثور الخبر إلى أن قال: فإلى من يفزع خلف هذه الأمة وقد درست أعلام هذه الملّة، ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف يكفر بعضهم بعضاً، والله تعالى يقول: (ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات)(۲۸).

فمن الموثوق به على إبلاغ الحجّة تأويل الحكم إلى أهل الكتاب وأبناء أئمّة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتجّ الله بهم على عباده ولم يدع الخلق سدى من غير حجّة، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وبرأهم من الآفات وافترض مودّتهم فى الكتاب.

الآية السادسة:

قوله تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم من فضله)(۲۹).

أخرج أبو الحسن المغازلى عن الباقر (عليه السلام) أنه قال فى هذه الآية: نحن الناس والله.

الآية السابعة:

قوله تعالى: (وما كان الله ليُعذّبهُم وأنت فيهم)(۳۰).

وأشار (ص) إلى وجود ذلك المعنى فى أهل بيته، وأنهم أمان لأهل الأرض كما كان هو (ص) أماناً لهم.

وفى ذلك أحاديث كثيرة يأتى بعضها، ومنها: النجوم أمانٌ لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأمّتى، أخرجه كلّهم.

وفى رواية ضعيفة أيضاً: أهل بيتى أمان لأهل الأرض، فإذا هلك أهل بيتى جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون.

وفى أخرى لأحمد: فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء، وإذا ذهب أهل بيتى ذهب أهل الأرض.

وفى رواية صححها الحاكم على شرط الشيخين: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتى أمان لأمتى من الاختلاف(۳۱)، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس.

وجاء من طرق عديدة يقوى بعضها بعضاً: إنما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا.

وفى رواية مسلم: ومن تخلّف عنها غرق.

وفى رواية: هلك، وإنما مثل أهل بيتى فيكم مثل باب حطّة فى بنى إسرائيل من دخله غُفر له.

وفى رواية: غفر له الذنوب.

وقال بعضهم: يحتمل أن المراد بأهل البيت الذين هم أمان علماؤهم لأنهم الذين يهتدى بهم كالنجوم، والذين إذا فقدوا جاء الأرض من الآيات ما يوعدون، وذلك عند نزول المهدى (عليه السلام) لما يأتى فى أحاديثه أن عيسى يصلّى خلفه ويقتل الدجّال فى زمنه.

وبعد ذلك تتابع الآيات، بل فى مسلم: أن الناس بعد قتل عيسى الدجّال يمكثون سبع سنين ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال حبّة من خير أو إيمان إلّا قبضه فيبقى شراراً فى خفت الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، الحديث.

قال: ويحتمل وهو الأظهر عندى أن المراد بهم سائر أهل البيت(۳۲) فإن الله لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبى (ص) جعل دوامها بدوامه ودوام أهل بيته لأنهم يساوونه فى أشياء مرّ عن الرازى بعضها ولأنه قال فى حقهم: اللهم إنهم منّى وأنا منهم، ولأنهم رجعة منه بواسطة أن فاطمة أمّهم بضعته، فأقيموا مقامه فى الأمان، انتهى ملخصاً.

ووجه تشبيههم بالسفينة فيما مر من أحبهم وعظمهم شكراً لنعمة مشرفهم (ص) وأخذ بهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلّف عن ذلك غرق فى بحر كفر النعم، وهلك فى مفاوز الطغيان، ومرّ فى خبر: أن من حفظ حرمة الإسلام وحرمته (ص) وحرمة رحمه حفظ الله تعالى دينه ودنياه، وإلا لم يحفظ دنياه ولا آخرته.

وورد: يرد الحوض أهل بيتى ومن أحبّهم من أمّتى كهاتين السبّابتين، ويشهد له خبر: المرء مع من أحبّ، وبباب حطّة أن الله تعالى جعل دخول ذلك الباب الذى هو باب أريحاء أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة وجعل لهذه الأمة مودة أهل البيت سبباً لها كما سيأتى قريباً.

الآية الثامنة:

قوله تعالى: (وإنّى لغفّارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى)(۳۳).

قال ثابت البنانى: اهتدى إلى ولاية أهل بيته (عليهم السلام).

وجاء ذلك عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) أيضاً.

وأخرج الديلمى مرفوعاً: إنما سمّيت ابنتى فاطمة لأن الله فطمها ومحبّيها عن النار.

وأخرج أحمد: أنه (ص) أخذ بيد الحسنين وقال: من أحبّنى وأحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان معى فى درجتى يوم القيامة، ولفظ الترمذى: وكان معى فى الجنّة.

وأخرج ابن سعد عن على: أخبرنى رسول الله (ص) أن أوّل من يدخل الجنّة أنا وفاطمة والحسن والحسين، قلت: يا رسول الله فمحبّونا؟

قال: من ورائكم.

وأخرج الطبرانى بسند ضعيف: أن علياً أتى يوماً البصرة بذهب وفضّة فقال: أبيضاً وأصفراً غرّى غيرى، غرّى أهل الشام غداً إذا ظهروا عليك، فشقّ قوله ذلك على الناس فذكر ذلك له، فأذّن فى الناس فدخلوا عليه فقال: أن خليلى (ص) قال: يا على إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين ويقوم عليه عدوّك غضاباً مقمحين فى جمع غلّ يده إلى عنقه يريهم الأقماح.

أخرج صاحب المطالب العالية عن على ومن جملته: أنه مرّ على جمع فأسرعوا إليه قياماً فقال: من القوم؟ فقالوا: من شيعتك يا أمير المؤمنين، فقال لهم خيراً، ثمّ قال: يا هؤلاء ما لى لا أرى فيكم سمة شيعتنا وحلية أهبتنا؟ فأمسكوا حياء، فقال له من معه: نسألك بالذى أكرمكم أهل البيت وخصّكم وحباكم لما أنبأتنا بصفة شيعتكم؟

فقال: شيعتنا هم العارفون بالله، العاملون بأمر الله، أهل الفضائل، الناطقون بالصواب، مأكولهم القوت، وملبوسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، نجعوا لله بطاعته، وخضعوا إليه بعبادته، مضوا غاضّين أبصارهم عما حرّم الله عليهم، واقفين أسماعهم على العلم بربّهم، نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالّتى نزلت منهم فى الرخاء، رضوا عن الله تعالى بالقضاء، فلولا الآجال التى كتب الله تعالى لهم لم تستقرّ أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى لقاء الله والثواب، وخوفاً من أليم العقاب، عظم الخالق فى أنفسهم، وصغر ما دونه فى أعينهم، فهم والجنّة كمن رآها، فهم على أرائكها متّكئون وهم والنار كمن رآها فهم فيها معذّبون، صبروا أيّاماً قليلة فأعقبهم راحة طويلة، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وطلبتهم فأعجزوها.

أما اللّيل: فصافّون أقدامهم، تالون لأجزاء القرآن ترتيلاً، يعظون أنفسهم بأمثاله، ويستشفون لدائهم بدوائه تارة، وتارة يفترشون جباههم وأكفّهم وركبهم وأطراف أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم، يمجّدون جبّاراً عظيماً ويجأرون إليه فى فكاك رقابهم، هذا ليلهم.

فأمّا نهارهم: فحكماء بررة، علماء أتقياء، براهم خوف باريهم، فهم كالقداح تحسبهم مرضى، أو قد خولطوا وما هم بذلك، بل خامرهم من عظمة ربّهم، وشدّة سلطانه، ما طاشت له قلوبهم، وذهلت منه عقولهم، فإذا أشفقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية، لا يرضون له بالقليل، ولا يستكثرون له الجزيل، فهم لأنفسهم متّهمون، ومن أعمالهم مشفقون، ترى لأحدهم قوّة فى دين، وحزماً فى لين وإيماناً فى يقين، وحرصاً على علم وفهماً فى فقه، وعلماً فى حلم وكيساً فى قصد، وقصداً فى غنى، وتجمّلاً فى فاقة، وصبراً فى شفقة، وخشوعاً فى عبادة، وزحمة لمجهود، وإعطاءً فى حقّ، ورفقاً فى كسب، وطلباً فى حلال، ونشاطاً فى هدى، واعتصاماً فى شهوة، لا يغرّه ما جهله، ولا يدع إحصاء ما عمله، يستبطىء نفسه فى العمل وهو من صالح عمله على وجل.

يصبح وشغله الذكر، وهمّه الشكر، يبيت حذراً من سنة الغفلة، ويصبح فرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة، ورغبته فيما يبقى، وزهادته فيما يفنى، وقد قرن العلم بالعمل، والعلم بالحلم، دائماً نشاطه، بعيداً كسله، قريباً أمله، قليلاً ذلك متوقّعاً أجله، عاشقاً قلبه، شاكراً ربّه، قانعاً نفسه، محرزاً دينه، كاظماً غيظه، آمناً منه جاره، سهلاً أمره، معدوماً كبره، بيناً صبره، كثيراً ذكره، لا يعمل شيئاً من الخير رياءً، ولا يتركه حياءً.

أولئك شيعتنا وأحبّتنا ومنّا ومعنا، ألا هؤلاء شوقاً إليهم.

فصاح بعض من معه وهو همام بن عباد بن خيثم وكان من المتعبّدين صيحة فوقع مغشياً عليه فحرّكوه، فإذا هو فارق الدينا، فغسل وصلّى عليه أمير المؤمنين ومن معه.

الآية التاسعة:

قوله تعالى: (فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقُل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكُم ونساءنا ونساءكُم وأنفسنا وأنفُسكُم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)(۳۴).

قال فى الكشاف: لا دليل أقوى من هذا على فضل أصحاب الكساء، وهم: علىّ وفاطمة والحسنان، لأنّهما لمّا نزلت دعاهم (ص) فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه، وعلىّ خلفها فعلم أنّهم المراد من الآية وأنّ أولاد فاطمة وذرّيتهم يسمّون

أبناؤه وينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة فى الدنيا والآخرة.

ويوضح ذلك أحاديث نذكرها مع ما يتعلّق بها تتميماً للفائدة فنقول:

صحّ عنه عله الصلاة والسلام أنّه قال على المنبر: ما بال أقوام يقولون أن رحم رسول الله (ص) لا ينفع قومه يوم القيامة، بلى والله إنّ رحمى موصولة فى الدينا والآخرة، وإنى أيّها الناس فرط لكم على الحوض.

وفى رواية ضعيفة وإن صححها الحاكم: أنّه (ص) بلغه أن قائلاً قال لبريدة: إنّ محمداً لن يغنى عنك من الله شيئاً، فخطب ثم قال: ما بال أقوام يزعمون أنّ رحمى لا ينفع، بل حتى جبأ وحكم أى هما قبيلتان من اليمن، إنى لأشفع فأشفع، حتى أن من أشفع له فيشفع حتى أن إبليس ليتطاول طمعاً فى الشفاعة.

وأخرج الدارقطنى: أنّ علياً يوم الشورى احتجّ على أهلها فقال لهم: أنشدكم بالله هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله (ص) فى الرحم منى، ومن جعله (ص) نفسه وأبناءه أبناءه ونساءه نساءه غيرى؟ قالوا: اللهمّ لا، الحديث.

وأخرج الطبرانى: أن الله عزّ وجل جعل ذريّة كل نبى فى صلبه، وأن الله تعالى جعل ذريّتى فى صلب علىّ بن أبى طالب.

وأخرج أبو الخير الحاكمى وصاحب كنوز المطالب فى بنى أبى طالب: أنّ علياً دخل على النبى (ص) وعنده العباس، فسلّم فردّ (ص) عليه السلام وقام فعانقه وقبّل ما بين عينيه وأجلسه عن يمينه، فقال له العبّاس: أتحبّه؟ قال: يا عمّ والله لله أشدّ حباً له منّى، إنّ الله عزّ وجل جعل ذريّة كل نبّى فى صلبه، وجعل ذريّتى فى صلب هذا.

وزاد الثانى فى روايته: إنّه إذا كان يوم القيامة دعى الناس بأسماء أمّهاتهم ستراً عليهم إلاّ هذا وذريّته، فإنهم يدعون بأسمائهم لصحّة ولادتهم.

وأبو يعلى والطبرانى: أنه (ص) قال: كل بنى أنثى ينتمون إلى عصبة إلاّ ولد فاطمة، فأنا وليّهم وأنا عصبتهم، وله طرق يقوى بعضها بعضاً.

بل صح عن عمر أنه خطب أم كلثوم من على فاعتل بصغرها وبأنه أعدّها لابن أخيه جعفر، فقال له: ما أردت ألباءه ولكن سمعت رسول الله (ص) يقول: كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببى ونسبى، وكلّ بنى أنثى عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة، فإنى أنا أبوهم وعصبتهم.

وفى رواية أخرجها البيهقى والدارقطنى بسند رجاله من أكابر أهل البيت أن علياً عزل بناته لولد أخيه جعفر، فلقيه عمر فقال له: يا أبا الحسن أنكحنى ابنتك أمّ كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله (ص)، فقال: قد حبستهن لولد أخى جعفر، فقال عمر: إنه والله ما على وجه الأرض من يرصد حسن صحبتها ما أرصد، فأنكحنى يا أبا الحسن، فقال: قد أنكحتها(۳۵)؛ فعاد عمر إلى مجلسه بالروضة مجلس المهاجرين والأنصار فقال: هنونى، قالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ قال: بأم كلثوم بنت على، وأخذ يحدث أنه سمع رسول الله (ص) يقول: كل صهر أوسبب أو نسب ينقطع يوم القيامة إلا صهرى وسببى ونسبى وإنه كان لى صحبة فأحببت أن يكون لى معها سبب.

وفى رواية: أن عمر صعد المنبر فقال: أيها الناس إنه والله ما حملنى على الإلحاح على على فى ابنته إلاّ لأنّى سمعتُ رسول الله (ص) يقول: كلّ حسب ونسب وسبب وصهر ينقطع يوم القيامة إلاّ حسبى ونسبى وسببى وصهرى فأمر بها علىّ.

تنبيه:

علم مما ذكر فى هذه الأحاديث عظيم نفع الانتساب إليه (ص) ولا ينافيه ما فى أحاديث أخر من حثه لأهل بيته على خشية الله واتقائه وطاعته، وإن القرب إليه يوم القيامة إنما هو بالتقوى، فمن ذلك الحديث الصحيح: أنه لما نزل قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين) دعا قريشاً فاجتمعوا فعمّ وخصّ وطلب منهم أن ينقذوا أنفسهم من النار إلى أن قال: يا فاطمة بنت محمد يا صفيّة بنت عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً غير أنّ لكم رحماً سأبلها ببلاها يعنى سأصلها بصلتها ووجد عدم المنافاة كما قاله المحب الطبرى وغيره من العلماء أنه (ص) لا يملك لأحد شيئاً لا نفعاً ولا خراً، لكن الله عزّ وجل يملكه نفع أقاربه، بل وجميع أمته بالشفاعة العامة والخاصة،

فهو لا يملك إلا ما يملكه له مولاه، كما أشار إليه بقوله: غير أن لكم رحماً سأبلها ببلاها، وكذا معنى قوله: لا أغنى عنكم من الله شيئاً، أى بمجرد نفسى من غير ما يكرمنى به الله من نحو شفاعة أو مغفرة، وخاطبهم بذلك رعاية لمقام التخويف والحث على العمل والحرص على أن يكونوا أولى الناس حظاً فى تقوى الله وخشيته، ثم أومأ إلى حق رحمه إشارة إلى إدخال نوع طمأنينة عليهم.

ولما خفى ذلك الجمع عن بعضهم حمل حديث «كل سبب ونسب» على أن المراد أن أمته (ص) يوم القيامة ينسبون إليه بخلاف أمم الأنبياء لا ينسبون إليهم وهو بعيد، وإن حكاه وجهاً فى الروضة، بل يؤيّده ما مرّ من استناد عمر إليه فى الحرص على تزوّجه بأم كلثوم وإقرار علىّ والمهاجرين والأنصار له على ذلك.

ويؤيّده أيضاً ذكر الصهر والحسب مع السبب والنسب كما مر.

وغضبه (ص) لما قيل: إن قرابته لا تنفع على أن حديث البخارى ما يقتضى نسبة بقية الأمم إلى أنبيائهم فإن فيه يجىء نوح (عليه السلام) وأمته فيقول الله تعالى: «هل بلّغت» فيقول: أى ربّ نعم، فيقول لأمته: هل بلّغكم؟ الحديث. وكذا جاء فى غيره.

واعلم أنه استفيد من قوله (ص) فى الحديث السابق: أن أوليائى منكم المتقون، وقوله: إنما ولى الله صالح المؤمنين إن نفع رحمه وقرابته وشفاعته للمذنبين من أهل بيته، وإن لم تنتف لكن ينتفى عنهم بسبب عصيانهم ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب إليه بارتكابهم ما يسوءه (ص) عند عرض عملهم عليه، ومن ثم يعرض (ص) عمّن يقول له منهم يوم القيامة: يا محمد، كما فى الحديث السابق.

وقد قال الحسن بن الحسن السبط لبعض الغلاة فيهم: ويحكم أحبّونا لله، فإن أطعنا الله فأحبّونا، وإن عصيناه فأبغضونا، ويحكم لو كان الله نافعاً بقرابة من رسول (ص) الله بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا(۳۶)، والله إنى أخاف أن يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين وأن يؤتى المحسن منا أجره مرّتين وكأنه أخذ ذلك من قوله تعالى: (يا نساء النبى من يأت منكنّ بفاحشة مبيّنة يُضاعف لها العذاب ضعفين) (۳۷).

«خاتمة»:

علم من الأحاديث السابقة اتجاه قول صاحب التلخيص من أصحابنا من خصائصه (ص) أن أولاد بناته ينسبون إليه (ص) وأولاد بنات غيره لا ينسبون إلى جدّهم من الكفاءة وغيرها، وأنكر ذلك القفال وقال: لا خصوصية بل كل أحد ينسب إليه أولاد بناته.

ويرده الخبر السابق كل بنى أمّ ينتمون إلى عصبة إلى آخره.

ثم معنى الانتساب إليه (ص) الذى هو من خصوصياته أنه يطلق عليه أنه أب لهم وأنهم بنوه حتى يعتبر ذلك فى الكفاءة فلا يكافىء شريفة هاشمى غير شريف.

وأما أولاد بنات غيره فلا يجرى فيهم مع جدّهم لأمهم هذه الأحكام.

نعم يستوى الجد للأب والأم فى الانتساب إليهما من حيث تطلق الذريّة والنسل والعقب عليهم فأراد صاحب التلخيص بالخصوصية ما مر، وأراد القفال بعدمها هذا، وحينئذ فلا خلاف بينهما فى الحقيقة.

ومن فوائد ذلك أيضاً أنه يجوز أن يقال للحسنين أبناء رسول الله (ص) وهو أب لهما اتفاقاً، ولا عبرة بمن منع ذلك حتى فى الحسنين من الأمويين للخبر الصحيح الآتى فى الحسن: إن ابنى هذا سيّد.

ومعاوية وإن نقل عنه ذلك لكن نقل عنه ما يقتضى أنه رجع عن ذلك، وغير معاوية من بقية الأمويين المانع لذلك لا يعتد به.

وعلى الأصح قوله تعالى: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم» (۳۸) إنما سبق لانقطاع حلم النبى لا لمنع هذا الإطلاق المراد به أنه أبو المؤمنين فى الاحترام والإكرام.

الآية العاشرة:

قوله تعالى: (ولسوف يُعطيك ربُّك فترضى)(۳۹).

نقل القرطبى عن ابن عباس أنه قال: رضى محمد (ص) أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار. وقاله السدى، انتهى.

وأخرج الحاكم وصححه أنه (ص) قال: وعدنى ربّى فى أهل بيتى من أقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ أن لا يعذبهم.

وأخرج الملا: سألت ربى أن لا يدخل النار أحد من أهل بيتى فأعطانى ذلك.

وأخرج أحمد فى المناقب: أنه (ص) قال: يا معشر بنى هاشم، والذى بعثنى بالحق نبياً لو أخذت بحلقة الجنّة ما بدأت إلا بكم.

وأخرج الطبرى عن على قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: أول من يرد علىّ الحوض فقراء المهاجرين، فإن صح الأول أيضاً حمل على أن أُولئك أول من يرد بعد هؤلاء.

وأخرج المخلص والطبرانى والدار قطنى: أول من أشفع له من أمتى أهل بيتى، ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من آمن بى واتبعنى من اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم ومن أشفع له أولاً أفضل.

وعند البزاز والطبرانى وغيرهما أول من أشفع له من أمتى من أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل طائف.

ويجمع بينهما بأن ذاك فيه ترتيب من حيث القبائل وهذا فيه ترتيب من حيث البلدان، فيحتمل أن المراد البداءة فى قريش بأهل المدينة ثم مكة ثم الطائف وكذا فى الأنصار ثم من بعدهم ومن أهل مكة بذلك على هذا الترتيب ومن أهل الطائف بذلك كذلك.

وأخرج تمام والبزاز والطبرانى وأبو نعيم: أنه (ص) قال: فاطمة؟ أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار.

وفى رواية: فحرمها وذريّتها على النار.

وأخرج الحافظ أبو القاسم الدمشقى أنه (ص) قال: يا فاطمة لم سميت فاطمة قال على: لم سمّيت فاطمة يا رسول الله؟، قال: إن الله قد فطمها وذرّيتها من النار.

وأخرج النسائى: أن ابنتى فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث إنما سماها فاطمة لأن الله أفطمها ومحبّيها على النار.

وأخرج الطبرانى بسند رجاله ثقات: أنه (ص) قال لها: إن الله غير معذّبك ولا أحداً من وُلدك.

وأخرج الديلمى وغيره: أنه (ص) قال: نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وحمزة وعلى وجعفر بن أبى طالب والحسن والحسين والمهدى.

وفى حديث ضعيف عن على: شكوتُ إلى رسول الله (ص) حسد الناس فقال لى: أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أوّل من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا(۴۰) وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا.

وأخرج أحمد فى المناقب: إنه (ص) قال لعلى: أما ترضى أنك معى فى الجنة والحسن والحسين وذرّيتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا.

وأخرج الطبرانى: أنه (ص) قال لعلى: أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا، وسنده ضعيف، لكن يشهد له ما صح عن ابن عباس إن الله يرفع ذرية المؤمن معه فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل، ثم قرأ: (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم)(۴۱) الآية.

وأخرج الديلمى: يا على إن الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك فأبشر فإنّك الأنزع البطين.

وكذا خبر أنت وشيعتك تردون على الحوض رواء مرويّين مبيضّة وجوهكم، وأن عدوّك يردون على الحوض ظماء مقبحين.

الآية الحادية عشرة:

قوله تعالى: (إنّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك هم خيرُ البريّة)(۴۲).

أخرج الحافظ جمال الدين الزرندى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الآية لما نزلت قال (ص) لعلى: هو أنت وشيعتك، تأتى أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين، ويأتى عدوّك غضاباً مقمحين، قال: ومن عدوّى؟ قال: من تبرّأ منك ولعنك.

وخبر: السابقون إلى ظل العرش يوم القيامة طوبى لهم، قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: شيعتك يا على ومحبّوك.

وأخرج الدار قطنى: يا أبا الحسن أما أنت وشيعتك فى الجنّة.

ومن ثم قال موسى بن على بن الحسين بن على وكان فاضلاً: عن أبيه، عن جدّه: إنما شيعتنا من أطاع الله ورسوله وعمل أعمالنا.

الآية الثانية عشرة:

قوله تعالى: (وإنه لعلم للساعة)(۴۳).

قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسّرين: إن هذه الآية نزلت فى المهدى وستأتى الأحاديث المصرحة بأنه من أهل البيت النبوى، وحينئذ ففى الآية دلالة على البركة فى نسل فاطمة وعلى وإن الله ليخرج منهما كثيراً طيباً وأن يجعل نسلهما مفاتيح الحكمة ومعادن الرحمة.

وسرّ ذلك أنه (ص) أعاذها وذريّتها من الشيطان الرجيم، ودعا لعلى بمثل ذلك، وشرح ذلك كله يعلم بسياق الأحاديث الدالة عليه.

وأخرج النسائى بسند صحيح أن نفراً من الأنصار قالوا لعلى رضى الله عنه: لو كانت عندك فاطمة، فدخل على النبى (ص) يعنى ليخطبها، فسلّم عليه فقال له: ما حاجة ابن أبى طالب؟ قال: فذكرت فاطمة، فقال (ص): مرحباً وأهلاً، فخرج إلى الرهط من الأنصار ينتظرونه فقالوا له: ما ورائك؟ قال: ما أدرى، غير أنه قال لى: مرحباً وأهلاً، قالوا: يكفيك من رسول الله (ص) أحدهما قد أعطاك الأهل وأعطاك الرحب، فلما كان بعد ما زوّجه قال له: يا على إنه لا بدّ للعرس من وليمة، قال سعد رضى الله عنه: عندى كبش وجمع له رهط من الأنصار أصوعاً من ذرة(۴۴)، فلمّا كان ليلة البناء قال: يا على لا تحدث شيئاً حتى تلقانى، فدعا (ص) ماء فتوضّأ به ثم أفرغه على على وفاطمة فقال: اللهم بارك لهما فى نسلهما. وفى رواية: شملهما. وفى أخرى: شبليهما. قيل: وهو مصحف، فإن صحّت فالشبل ولد الأسد فيكون ذلك كشفاً واطلاعاً منه (ص) على أنها تلد الحسنين، فأطلق عليهما شبلين، وهما كذلك.

وأخرج أبو على الحسن بن شاذان: أن جبرائيل جاء إلى النبى (ص) فقال: إن الله يأمرك أن تزوّج فاطمة من على فدعا (ص) جماعة من أصحابه، فقال: الحمد لله المحمود بنعمته الخطبة المشهورة ثم زوّج عليّاً وكان غائباً. وفى آخرها: فجمع الله شملهما، وطيّب نسلهما، وجعل نسلها مفاتيح الرحمة، ومعادن الحكمة، وأمن الأمّة، فلما حضر علىّ تبسّم (ص) وقال له: إن الله أمرنى أن أزوّجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضّة أرضيت بذلك؟ فقال: قد رضيتها يا رسول الله، ثمّ خرّ على ساجداً لله شكراً، فلمّا رفع رأسه قال (ص): بارك الله لكما وبارك فيكما وأعزّ جدكما وأخرج منكما الكثير الطيّب.

قال أنس: والله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيّب.

وأخرج أكثره أبو الخير القزوينى الحاكمى.

وأخرج أبو داود السجستانى: أنّ أبا بكر خطبها فأعرض عنه (ص)، ثم عمر فأعرض (ص) عنه فأتيا علياً فنبهاه إلى خطبتها، فجاء فخطبها فقال (ص): ما معك؟ فقال: فرسى وبدنى، فقال: أمّا فرسك فلا بدّ لك منه، وأما بدنك فبعها وائتنى بها، فباعها بأربعمائة وثمانين ثم وضعها فى حجره فقبض منها قبضة وأمر بلالاً أن يشترى به طيباً، ثم أمرهم أن يجهزّوها فعمل لها سرير مشرط ووسادة من أدم حشوها ليف وملأ البيت كثيباً يعنى رملاً وأمر أم أيمن أن تنطلق إلى ابنته، وقال لعلى: لا تعجل حتى آتيك ثم أتاهم (ص) فقال لأم أيمن: ههنا أخى، قالت: أخوك وتزوّجه ابنتك؟ قال: نعم، فدخل على فاطمة ودعا بماء، فأتته بقدح فيه ماء فمجّ فيه، ثم نضح على رأسها وبين ثدييها وقال: اللهم إنى أعيذها بك وذريّتها من الشيطان الرجيم، ثم قال لعلى: ائتنى بماء، فعلمت ما يريد، فملأت القعب فأتيته به فنضح منه على رأسى وبين كتفى وقال: اللهم إنّى أعيذه بك وذريّته من الشيطان الرجيم، ثم قال: ادخل بأهلك على اسم الله تعالى وبركته.

وأخرج أحمد وأبو حاتم نحوه، وقد ظهرت بركة دعائه (ص) فى نسلهما فكان منه من مضى ومن يأتى ولو لم يكن فى الآيتين إلاّ الإمام المهدى لكفى، وسيأتى فى الفصل الثانى جملاً مستكثرة من الأحاديث المبشرة به.

ومن ذلك ما أخرجه مسلم وأبو داود النسائى وأبن ماجة والبيهقى وآخرون: المهدى من عترتى من ولد فاطمة.

وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة: لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله فيه رجلًا من عترتى.

وفى رواية: رجلًا من أهل بيتى يملؤها عدلاً كما مليت جوراً.

وفى رواية: لمن عدا الأخير، لا تذهب الدنيا ولا تنقضى حتى يملك رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى.

وفى أخرى لأبى داود والترمذى: لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتى، يواطىء اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى(۴۵)، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً.

وأحمد وغيره: المهدى منّا أهل البيت يصلحه الله فى ليلة.

والطبرانى: المهدى منّا يختم الدين بنا كما فتح بنا.

والحاكم فى صحيحه: يحل بأمتى فى آخر الزمان بلاء شديد من سلاطينهم لم يسمع بلاء أشد منه حتى لا يجد الرجل ملجأ فيبعث الله رجلًا من عترتى أهل بيتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يحبّه ساكن الأرض وساكن السماء، وترسل السماء قطرها وتخرج الأرض نباتها، لا تمسك فيها شيئاً يعيش فيهم سبع سنين أو ثمانياً أو تسعاً، يتمنّى الأحياء الأموات مما صنع الله بأهل الأرض من خيره.

وروى الطبرانى والبزاز نحوه، ومنه: يمكث فيكم سبعاً أو ثمانياً، فإن أكثر فتسعاً.

وفى رواية لأبى داود الحاكم: يملك فيكم سبع سنين.

وفى أخرى للترمذى: إنّ فى أمتى المهدى يخرج ويعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً، فيجىء إليه الرجل فيقول: يا مهدى أعطنى أعطنى، فيحشى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله.

وفى رواية: فيلبث فى ذلك ستاً أو سبعاً أو ثمانياً أو تسعاً من السنين، وسيأتى أن الذى اتّفقت عليه الأحاديث سبع سنين من غير شك.

وأخرج أحمد ومسلم: يكون فى آخر الزمان خليفة يحشى المال حشياً ولا يعده عداً.

وابن ماجة مرفوعاً: يخرج ناس من المشرق فيوطؤون للمهدى سلطانه.

وصح أن اسمه يوافق اسم النبى (ص) واسم أبيه، اسم أبيه(۴۶).

وأخرج ابن ماجة: بينما نحن عند رسول الله (ص) إذ أقبل فئة من بنى هاشم، فلما رآهم (ص) اغرورقت عيناه بالدموع وتغيّر لونه، قال: فقلت: ما نزال نرى فى وجهك شيئاً نكرهه، فقال: إنّا أهل بيت اختار الله لهم الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتى سيلقون بعدى بلاءً شديداً وتطريداً حتى يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتى فيملؤها قسطاً كما ملئوها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدى.

وأخرج نصير بن حماد مرفوعاً: هو رجل من عترتى يقاتل على سنّتى كما قاتلت أنا على الوحى.

وأخرج أبو نعيم: ليبعثنّ الله رجلًا من عترتى أفرق الثنايا أجلى الجبهة يملأ الأرض عدلاً، يفيض المال فيضاً.

وأخرج الرويانى والطبرانى وغيرهما: المهدى من ولدى وجهه كالكوكبخروا

الدرّى، اللّون لون عربى، والجسم جسم إسرائيلى، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يرضى بخلافته أهل السماء وأهل الأرض والطير فى الجوّ، يملك عشرين سنة.

وأخرج الطبرانى مرفوعاً: يلتفت المهدى وقد نزل عيسى بن مريم (عليه السلام) كأنما يقطر من شعره الماء فيقول المهدى: تقدّم فصلّ بالناس، فيقول عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك، فيصلّى خلف رجل من ولدى، الحديث.

وفى صحيح ابن حبان فى إمامة المهدى نحوه، وصح مرفوعاً: ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدى تعال صلّ بنا فيقول: لا، إن بعضكم أئمة على بعض تكرمة الله هذه الأمة.

وأخرج ابن عساكر عن على: إذا قام قائم آل محمد (ص) جمع الله أهل المشرق وأهل المغرب، فأما الرفقاء فمن أهل الكوفة، وأما الأبدال فمن أهل الشام.

وصح أنه (ص) قال: يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليهم بعث من الشؤم فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه ابدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه، ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثاً، فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال ويعمل فى الناس بسنّة نبيهم (ص) ويلقى الإسلام بجرانه الأرض.

وأخرج الطبرانى: إنه (عليه السلام) قال لفاطمة: نبيّنا خير الأنبياء وهو أبوك، وشهيدنا خير الشهداء وهو عمّ أبيك حمزة، ومنّا من له جناحان يطير بهما فى الجنّة حيث شاء وهو ابن عم أبيك جعفر، ومنّا سبطا هذه الأمة: الحسن والحسين وهما ابناك؛ يتشعّب منهما قبيلتان ويكون من نسلهما خلق كثير، ومنّا المهدى.

وأخرج ابن ماجة: أنه (ص) قال: لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتى يملك جبل الديلم والقسطنطينية.

وأخرج أحمد والماوردى: أنه (ص) قال: أبشروا بالمهدى رجل من قريش من عترتى يخرج فى اختلاف من الناس وزلزال، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً جوراً، ويرضى عنه ساكن الأرض وساكن السماء ويقسم المال صحاحاً بالسويّة، ويملأ قلوب أُمة محمد غنى ويسعهم عدله حتى أنه يأمر منادياً فينادى: من له حاجة إلىّ؟ فما يأتيه أحد إلّا رجلٌ واحد يأتيه فيسأله فيقول: أئت السادن حتى يعطيك، فيأتيه فيقول: أنا رسول المهدى إليك لتعطينى مالاً، فيقول: أحش فيحشى ما لا يستطيع أن يحمله فيلقى حتى يكون قدر ما يستطيع أن يحمل فيخرج به فيقول: أنا كنت أجشع أمّة محمد نفساً كلهم دعى إلى هذا المال فتركه غيرى فيرد عليه فيقول: إنا لا نقبل شيئاً أعطينا فيلبث فى ذلك ستاً أو سبعاً أو ثمانياً أو تسع سنين ولا خير فى الحياة بعده.

وقال أبو الحسين الأجرى: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها على المصطفى (ص) بخروجه وأنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً وأنه يخرج مع عيسى على نبيّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام فيساعده على قتل الدجّال بباب لد بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة ويصلّى عيسى خلفه، انتهى.

وما ذكره من أن المهدى يصلّى بعيسى هو الذى دلّت عليه الأحاديث.

الآية الثالثة عشرة:

قوله تعالى: (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم)(۴۷).

أخرج الثعلبى فى تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: الأعراف موضع عالٍ من الصراط عليه العباس وحمزة وعلى بن أبى طالب وجعفر ذو الجناحين، يعرفون محبّيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه.

وأورد الديلمى وابنه معاً لكن بلا إسناد أنّ علياً قال: قال رسول الله (ص): اللهمّ ارزق من أبغضنى وأهل بيتى كثرة المال والعيال، كفاهم بذلك أن يكثر مالهم فيطول حسابهم وأن تكثر عيالهم فتكثر شياطينهم.

وحكمة الدعاء عليهم بذلك أنه لا حامل على بغضه (ص) وبغض أهل بيته إلا الميل إلى الدنيا لما جبلوا عليه من محبّة المال والولد، فدعا عليهم (ص) بتكثير ذلك مع سلبهم نعمته فلا يكون إلا نقمة عليهم لكفرانهم نعمة من هُدوا على يديه إيثاراً للدنيا بخلاف من دعا له (ص) بتكثير ذلك، إذ القصد به كون ذلك نعمة عليهم فيتوصل به إلى ما رتبه عليه من الأمور الأخروية والدنيوية النافعة.

الآية الرابعة عشرة:

قوله تعالى: (قُل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القُربى ومن يقترف حسنةً نزد لهُ فيها حُسناً) إلى قوله: (وهوالذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيّئات ويعلم ما تفعلون) (۴۸).

اعلم أن هذه الآية مشتملة على مقاصد وتوابع:

تفاسير فى آية المودة

المقصد الأول فى تفسيرها

أخرج أحمد والطبرانى وابن أبى حاتم والحاكم عن ابن عباس أن هذه الآية لما نزلت قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: علىّ وفاطمة وابناهما.

وروى أبو الشيخ وغيره عن على كرّم الله وجهه: فينا آل حم آية لا يحفظ مودّتنا إلا كل مؤمن ثم قرأ: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القربى».

وأخرج البزاز والطبرانى عن الحسن من طرق بعضها حسان أنه خطب فى خطبة من جملتها: من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن محمد (ص) ثم تلا: (واتّبعت ملّة آبائى إبراهيم) الآية، ثم قال: أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، ثم قال: وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عزّ وجل مودّتهم وموالاتهم، فقال فيما أُنزل على محمد (ص): (قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القربى) ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً، واقتراف الحسنات مودّتنا أهل البيت.

وأخرج الطبرانى عن زين العابدين: أنه لما جىء به أسيراً عقب مقتل أبيه الحسين وأُقيم على درج دمشق قال بعض جفاة أهل الشام: الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال له: ما قرأت (قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القربى)؟ قال: وأنتم هم؟ قال: نعم، وللشيخ شمس الدين ابن العربى:

رأيت ولائى آل طه فريضة على رغم أهل البعد يورثنى القربا

فما طلب المبعوث أجراً على الهدى بتبليغه إلّا المودّة فى القربى

وأخرج أحمد عن ابن عباس فى (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً) قال: المودّة لآل محمد (ص).

ونقل الثعلبى والبغوى عنه أنه لما نزل قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القربى) قال قوم فى نفوسهم: ما يريد الله إلّا أن يحثّنا على قرابته من بعده، فأخبر جبرائيل النبى (ص) أنهم اتّهموه(۴۹) فأنزل: (أم يقولون أفترى على الله كذبا) الآية، فقال القوم: يا رسول الله إنّك صادق، فنزل: (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده).

ونقل القرطبى وغيره عن السدى إنه قال فى قوله تعالى: (إنّ الله غفورٌ شكور) غفور لذنوب آل محمد(۵۰) شكور لحسناتهم.

المقصد الثانى فيما تضمنته تلك الآية من طلب محبّة آله (ص) وأنّ ذلك من كمال الإيمان

ولنفتتح هذا المقصد بآية أخرى ثم نذكر الأحاديث الواردة فيه قال الله تعالى: (إنّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات سيجعل لهُم الرّحمنُ وُدّاً) (۵۱).

أخرج الحافظ السلعى عن محمد بن الحنفية أنه قال فى تفسير هذه الآية: لا يبقى مؤمن إلّا وفى قلبه ودّ لعلى وأهل بيته.

وصح أنه (ص) قال: أحبوا الله لما يغذوا بكم به من نعمة وأحبونى لحبى الله عزّ وجلّ، وأحبوا أهل بيتى لحبى.

وأخرج البيهقى وأبو الشيخ والديلمى أنه(ص) قال: لا يؤمن عبد حتى أكون أحبّ إليه من نفسه وتكون عترتى أحب إليه من نفسه وتكون أهلى أحبّ إليه من أهله وتكون ذاتى أحب إليه من ذاته.

وأخرج الديلمى أنه (ص) قال: أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحبّ أهل بيته، وعلى قراءة القرآن والحديث.

وصح أن العباس شكا إلى رسول الله (ص) ما يلقون من قريش من تعبيسهم فى وجوههم وقطعهم حديثهم عند لقائهم، فغضب (ص) غضباً شديداً حتى احمرّ وجهه وعرق ما بين عينيه وقال: والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله.

وفى روايـة صـحيحة أيضاً: ما بال أقوام يتحـدّثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتى قطعوا حديثهم، والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم منّى.

وفى أخرى: والـذى نفسـى بيده لا يدخلون الجنّة حتى يؤمنوا ولا يأمنوا حتى يحبوكم لله ولرسوله أترجو مراد شـفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطّلب.

وفى أخرى: لن يبلغوا أخيراً حتى يحبوكم لله ولقرابتى.

وفى أخرى: ولاـ يؤمن أحـدهم حتى يحبكم لحبى، أترجون أن تـدخلوا الجنّة بشـفاعتى ولاـ يرجوها بنو عبـد المطّلب، وبقى له طرق أخرى كثيرة.

وقدمت بنت أبى لهب المدينة مهاجرة فقيل لها: لا تغنى عنك هجرتك أنت بنت حطب النار، فذكرت ذلك للنبى (ص) فاشتدّ غضبه ثم قـال على منبره: مـا بـال أقوام يؤذونى فى نسبى وذوى رحمى، ألا ومن آذى نسبى وذوى رحمى فقـد آذانى ومن آذانى فقـد آذى الله.

أخرجه ابن أبى عاصم والطبرانى وابن منـدة والبيهقى بألفاظ متقاربـة، وسـميت تلك المرأة فى روايـة «دُرّة» وفى أخرى «سبيعـة»، فأما هما لواحدة اسمان أو لقب واسم أو لامرأتين وتكون القصّة تعددت لهما.

وخرج عمرو الأسـلمى وكـان من أصـحاب الحديبيـة مع على إلى اليمن فرأى منه جفوة فلمـا قـدم المدينـة أذاع شـكايته فقال له النبى (ص): لقد آذيتنى، فقال: أعوذ بالله أن أُؤذيك يا رسول الله، فقال: بل من آذى علياً فقد آذانى.

أخرجه أحمد، زاد ابن عبد البر: من أحب علياً فقد أحبنى ومن أبغض علياً ومن آذى علياً فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله(۵۲).

وكـذلك وقع لبريـدة أنه كان مع على فى اليمن فقدم مغاضـباً عليه وأراد شـكايته بجارية أخذها من المحسن، فقيل له: أخبره ليسـقط على من عينيه ورسول الله (ص) يسمع من وراء الباب فخرج مغضباً وقال: ما بال أقوام ينتقصون علياً، من أبغض علياً فقد أبغضنى، ومن فارق علياً فقد فارقنى، إنّ علياً منّى وأنا منه، خُلق من طينتى وأنا خُلقتُ من طينة إبراهيم وأنا أفضل من إبراهيم (ذريّة بعضـها من بعض والله سميع عليم) (۵۳) يا بريدة أما علمت أن لعلى أكثر من الجارية إلى آخر الحديث. أخرجه الطبرانى.

وفى خبر أنه (ص) قال: ألزموا مودّتنا أهل البيت فإنه من لقى الله عزّ وجل وهو يودّنا دخل الجنّة بشـفاعتنا والـذى نفسـى بيـده لا ينفع عبداً عمله إلاّ بمعرفة حقّنا(۵۴).

ويوافقه قول كعب الأحبار وعمر بن عبد العزيز ليس أحد من أهل بيت النبى (ص) إلاّ له شفاعة.

وأخرج أبو الشـيخ والديلمى: من لم يعرف حق عترتى ...فهو لإحدى ثلاث: إما منافق، وإما ولد زانية، وإما امرؤ حملت به أمه فى غير طهر.

وأخرج الديلمى: من أحب الله أحبّ القرآن ومن أحب القرآن أحبنى ومن أحبنى أحب أصحابى(۵۵) وقرابتى.

وأخرج أبو بكر الخوارزمى: أنه (ص) خرج عليهم ووجهه مشرق كدائرة القمر فسأله عبد الرحمن بن عوف فقال: بشارة أتتنى من ربّى فى أخى وابن عمّى وابنتى بأن الله زوّج علياً من فاطمـة، وأمر رضوان خازن الجنان فهزّ شـجرة طوبى فحملت دقاقاً يعنى صـكاكاً بعدد محبى أهل البيت وأنشأ تحتها ملائكة من نور، دفع إلى كل ملك صـكاً فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة فى الخلائق فلا يبقى محب لأهل البيت إلا دفعت إليه صكاً فيه فكاكه من النار فصار أخى وابن عمّى وابنتى فكاك رقاب رجال ونساء من أمتى من النار.

وأخرج الملا: لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقى ولا يبغضنا إلا منافق شقى.

ومرّ خبر أحمد والترمذى: من أحبنى وأحبّ هذين يعنى حسناً وحسيناً وأباهما وأمهما كان معى فى الجنّة.

وفى روايـة: فى درجتى.

وزاد داود: ومات متبعاً لسنّتى(۵۶).

وفى حديث: من أحبنا بقلبه وأعاننا بيده ولسانه كنت أنا وهو فى عليّين، ومن أحبنا بقلبه وأعاننا بلسانه وكفّ يده فهو فى الدرجة التى تليها، ومن أحبنا بقلبه وكفّ عنا لسانه ويده فهو فى الدرجة التى تليها.

المقصد الثالث فيما أشارت إليه من التحذير من بغضهم (ع)

صح أنه (ص) قال: والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلّا أدخله الله النار.

وأخرج أحمد مرفوعاً: من أبغض أهل البيت فهو منافق.

وأخرج هو والترمذى عن جابر: ما كنا نعرف المنافقين إلّا ببغضهم علياً.

وخبر: من أبغض أحداً من أهل بيتى فقد حرم شفاعتى، موضوع(۵۷).

وهكذا(۵۸) خبر: من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً وإن شهد أن لا إله إلاّ الله، فهو موضوع أيضاً كما قاله ابن الجوزى(۵۹) كالعقيلى وغير هذين كما مر وما يأتى مغن عنهما.

وأخرج الطبرانى مرفوعاً: لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من النار.

وفى رواية له أيضاً من جملة قصة طويلة: أنت السابُّ عليّاً؟ لئن وردت عليه الحوض وما أراك ترده لتجدنه مشمراً حاسراً عن ذراعيه يذود الكفار والمنافقين عن حوض رسول الله (ص) قول الصادق المصدوق محمد (ص).

وأخرج الطبرانى: يا على معك يوم القيامة عصا من عصى الجنّة تذود بها المنافقين عن الحوض.

وأحمد: أعطيت فى على خمساً هنّ أحبّ إلىّ من الدنيا وما فيها، أما واحدة فهو: بين يدى الله حتى يفرغ من الحساب، وأما الثانية: فلواء الحمد بيده آدم ومن ولده تحته، وأما الثالثة: فواقف على حوضى يسقى من عرف من أمتى، الحديث.

ومرّ خبر: أنه (ص) قال لعلى: إنّ عدوّك يردون علىّ الحوض ظماء مقمحين.

وأخرج الديلمى مرفوعاً: بغض بنى هاشم والأنصار كفر ونفاق.

وصحح الحاكم خبر: أنه (ص) قال: يا بنى عبد المطلب إنى سألت الله لكم ثلاثاً: أن يثبت أقدامكم، وأن يهدى ضالّكم، وأن يعلم جاهلكم، وسألت الله أن يجعلكم جوداً.

وفى رواية: نجداً من النجدة الشجاعة وشدة البأس نجباء رحماء فلو أن رجلاً صف بين الركن والمقام أى جمع قدميه فصلّى وصام ثم لقى الله وهو مبغض لأهل بيت محمد (ص) دخل النار.

وصحّ أيضاً: أنه (ص) قال: ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبى مجاب: الزائد فى كتاب الله عزّ وجلّ، والمكذب بقدر الله، والمتسلط على أمتى بالجبروت ليذل من أعز الله ويعز من أذل الله والمستحل حرمة الله.

وفى رواية: لحرم الله والمستحل من عترتى ما حرم الله، والتارك للسنة.

وفى رواية زيادة سابع وهو: المستأثر بالفىء.

وأخرج أحمد عن أبى دجانة كان يقول: لا تبرأ علياً ولا أهل البيت، إنّ جاراً لنا قدم الكوفة فقال: ألم تروا هذا الفاسق ابن الفاسق إن الله قتله يعنى الحسين فرماه الله بكوكبين فى عينيه وطمس الله بصره.

تنبيه:

قال القاضى فى الشفاء ما حاصله: من سب آباء أحد من ذريته (ص)، ولم تقم قرينه على إخراجه (ص) من ذلك، قتل.

وعلم من الأحاديث السابقة وجوب محبة أهل البيت وتحريم بغضهم التحريم الغليظ وبلزوم محبتهم صريح البيهقى والبغوى وغيره إنها من فرائض الدين بل نص عليها الشافعى فيما حكى عنه من قوله:

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله فى القرآن أنزله

وفى توثيق عرى الإيمان للبزاز عن الإمام الحولى ما حاصله: إن خواص العلماء يجدون فى قلوبهم مزية تامة بمحبته (ص)، ثم محبة ذرّيته لعلمهم باصطفاء نطفهم الكريمة، وينبغى الإغضاء عن انتقادهم ومن ثمّ ينبغى أن الفاسق (۶۰) من أهل البيت لبدعته أو غيرها إنما تبغض أفعاله لا ذاته، لأنها بضعة منه (ص)، وإن كان بينه وبينها وسائط.

وأخرج أبو سعيد فى النبوة وابن المثنى أنه (ص) قال: يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك فمن آذى أحداً من ولدها فقد تعرض لهذا الخطر العظيم، لأنه أغضبها ومن أحبهم فقد تعرض لرضاها.

ولذا صرح العلماء بأنه ينبغى إكرام سكان بلده (ص) وإن تحقق منهم ابتداع أو نحوه رعاية لحرمة جواره الشريف فما بالك بذريته الذين هم بضعة منه؟

وروى فى قوله تعالى: (وكان أبوهما صالحاً)أنه كان بينهم وبين الأب الذى حفظ فيه سبعة أو تسعة آباء، ومن ثم قال جعفر الصادق (عليه السلام): احفظوا فينا ما حفظ الله العبد الصالح فى اليتيمين وما انتقد ذريته (ص) محب لمحمد (ص).

المقصد الرابع مما أشارت إليه الآية الحث على صلتهم وإدخال السرور عليهم(ع)

وأخرج الديلمى مرفوعاً: من أراد التوسل إلىّ وأن يكون له عندى يد اشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتى ويدخل السرور عليهم.

وورد عن عمر من طرق أنه قال للزبير: انطلق بنا نزور الحسن بن على فتبطأ عليه الزبير فقال: أما علمت أن عيادة بنى هاشم فريضة وزيارتهم نافلة.

وأخرج الخطيب مرفوعاً: يقوم الرجل للرجل إلا بنى هاشم لا يقومون لأحد.

وأخرج الطبرانى مرفوعاً: أنه من اصطنع إلى أحد من ولد عبد المطلب يداً فلم يكافئه بها فى الدنيا فعلىّ مكافأته غداً إذا لقينى.

زاد الثعلبى فى رواية: وحرمت الجنّة على من ظلمنى فى أهل بيتى وآذانى فى عترتى وفى خبر: أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتى، والقاضى لهم حوائجهم، والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه.

وأخرج الملا فى سيرته: أنه (ص) أرسل أبا ذر ينادى عليّاً فرأى رحى تطحن فى بيته وليس فيها أحد، فأخبر النبى (ص) بذلك فقال: يا أبا ذر أما علمت إن لله ملائكة سياحين فى الأرض وقد وكلوا بمعونة آل محمد (ص).

وأخرج أبو الشيخ من جملة حديث طويل: يا أيها الناس إن الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله (ص) وذريته، فلا تذهبن بكم الأباطيل.

المقصد الخامس مما أشارت إليه الآية من توقيرهم وتعظيمهم والثناء عليهم (ع)

ومن ثم كثر ذلك من السلف فى حقهم اقتداءً به (ص) فإنه كان يكرم بنى هاشم كما مرّ، ودرج على ذلك الخلفاء الراشدون(۶۱) فمن بعدهم.

أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى بكر أنه قال: والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله (ص) أحب إلىّ أن أصل من قرابتى.

وفى رواية: أحب إلى من قرابتى.

وفى أخرى: والله لئن أصلكم أحب إلى من أن أصل قرابتى، لقرابتكم من رسول الله ولعظم الذى جعله الله له على كل مسلم.

وهذا قاله على سبيل الاعتذار(۶۲) لفاطمة عن منعه إياها ما طلبت منه من تركة النبى (ص).

أخرج أيضاً عنه: ارقبوا محمداً (ص) فى أهل بيته.

وصح عنه أيضاً أنه حمل الحسن على عنقه مع ممازحته لعلى بقوله وهو حامل له «بأبى الشبيه بالنبى» «ليس شبيهاً بعلى» وعلى يضحك.

ويوافقه قول أنس كما فى البخارى- عنه: لم يكن أحد أشبه بالنبى (ص) من الحسن، لكنه قال ذلك فى الحسين، وطريق الجمع بينهما قول على كما أخرجه الترمذى وابن حبان عنه: الحسن أشبه برسول الله (ص) ما بين الرأس إلى الصدر، والحسين أشبه بالنبى (ص) ما كان أسفل من ذلك.

وورد فى جماعة من بنى هاشم وغيرهم أنهم يشبهونه (ص) أيضاً.

وقد ذكرت عدتهم فى شرحى لشمائل الترمذى.

وأخرج الدارقطنى: أن الحسن جاء لأبى بكر وهو على منبر رسول الله (ص) فقال: انزل عن مجلس أبى، فقال: صدقت والله إنه لمجلس أبيك (۶۳)، ثم أخذه وأجلسه فى حجره وبكى.

ووقع للحسن نحو ذلك مع عمر وهو على المنبر فقال له: منبر أبيك والله لا منبر أبى(۶۴).

زاد ابن سعد: أنه أخذه فأقعده إلى جنبه وقال: وهل أنبت الشعر على رؤوسنا إلا أبوك؟ أى أن الرفعة ما نلناها إلا به.

وأخرج العسكرى عن أنس قال: بينما النبى (ص) فى المسجد إذ أقبل علىّ فسلّم ثم وقف ينظر موضعاً يجلس فيه فنظر(ص) فى وجوه الصحابة أيهم يوسع له وكان أبو بكر عن يمينه فتزحزح له عن مجلسه وقال له: ههنا يا أبا الحسن، فجلس بين النبى (ص) وبين أبى بكر فعرف السرور فى وجه رسول الله (ص).

وأخرج ابن شاذان عن عائشة: أن أبا بكر فعل نظير ذلك مع العباس أيضاً وتأسى فى ذلك به (ص) فقد أخرج ابن البغوى عن عائشة: لقد رأيت من تعظيم رسول الله (ص) عمه العباس أمراً عجيباً.

وأخرج عبد البراق: كان أبو بكر يكثر النظر إلى وجه علىّ، فسألته عائشة فقال: سمعت رسول الله (ص) يقول: النظر إلى وجه علىّ عبادة.

ومر نحو هذا وأنه حديث حسن، ولما جاء أبو بكر وعلى لزيارة قبره (ص) بعد وفاته بستة أيام قال على: تقدم، فقال أبو بكر: ما كنت لأتقدم رجلاً سمعت رسول الله (ص) يقول فيه: علىّ منى كمنزلتى من ربىّ.

أخرجه ابن السمان.

وأخرج الدارقطنى عن الشعبى قال: بينما أبو بكر جالس إذ طلع على فلما رآه قال: من سرّه أن ينظر إلى أعظم الناس منزلة وأقربهم قرابة وأفضلهم حالة وأعظمهم حقاً عند رسول الله (ص) فلينظر إلى هذا الطالع(۶۵).

وأخرج أيضاً: إنّ عمر رأى رجلاً يقع فى على فقال: ويحكم أتعرف علياً؟ هذا ابن عمه، وأشار إلى قبره والله ما آذيت إلّا هذا فى قبره.

وفى رواية: فإنك إن أبغضته آذيت هذا فى قبره.

وأخرج أيضاً عن ابن المسيّب قال: قال عمر تحبّبوا إلى الأشراف وتودّدوا واتقوا على أعراضكم من السفلة، واعلموا أنه لا يتمّ شرف إلّا بولاية على(۶۶).

وأخرج البخارى: أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس وقال: اللهمّ إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا محمد (ص)إن قحطنا فتسقينا وإنا نتوسّل إليك بعمّ نبينا فاسقنا فيسقون.

وفى تاريخ دمشق: أن الناس كرروا الاستسقاء عام الرمادة سنة سبع عشرة من الهجرة فلم يسقوا، فقال عمر: لأستسقينّ غداً بما يسقنى الله به، فلما أصبح عند العباس فدقّ عليه الباب فقال: من؟ قال: عمر، قال: ما حاجتك؟ قال: اخرج حتى نستسقى الله بك، قال: اقعد، فأرسل إلى بنى هاشم أن تطهّروا والبسوا من صالح ثيابكم، فأتوه فأخرج طيباً فطيبهم ثم خرج، وعلى أمامه بين يديه، والحسن عن يمينه والحسين عن يساره، وبنو هاشم خلف ظهره، فقال: يا عمر لا تخلط بنا غيرنا، ثم أتى المصلّى فوقف فحمد الله وأثنى عليه وقال: اللهم إنك خلقتنا ولم تؤامرنا وعلمت ما نحن عاملون قبل أن تخلقنا فلم يمنعك علمك فينا عن رزقنا، اللهم فكما تفضّلت فى أوله تفضّل علينا فى آخره.

قال جابر: فما برحنا حتى سحت السماء علينا سحاً فما وصلنا إلى منازلنا إلا خوضاً فقال العباس: أنا المسقى ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى خمس مرّات فسقى.

وأخرج الحاكم: أن عمر لما استسقى بالعبّاس خطب فقال: يا أيها الناس إن رسول الله (ص)كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده يعظمه ويفخمه ويبر قسمه، فاقتدوا أيها الناس برسول الله (ص) فى عمه العباس فاتخذوه الوسيلة إلى الله عزّ وجل فيما نزل بكم.

وأخرج ابن عبد البر من وجوه عن عمر: أنه لما استسقى به قال: اللهم إنّا نتقرّب إليك بعم نبيّك ونستشفع به فاحفظ فيه نبيّك كما حفظت الغلامين بصلاح أبيهما وأتيناك مستغفرين ومستشفعين، الخبر.

وفى رواية لابن قتيبة: اللهم إنّا نتقرّب إليك بعم نبيّك وبقية آبائه وكثرة رجاله فإنك تقول وقولك الحق: (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً) (۶۷) فحفظتهما لصلاح أبيهما فاحفظ اللهم نبيّك فى عمّه فقد دنونا به إليك مستشفعين.

وأخرج ابن أسعد: أنّ كعباً قال لعمر: إن بنى إسرائيل كانوا إذا أصابتهم سنة استسقوا بعصبة نبيهم، فقال عمر: هذا العبّاس انطلقوا إليه فأتاه فقال: يا أبا فضل ما ترى ما الناس فيه، وأخذ بيده وأجلسه معه على المنبر، وقال: اللهم إنّا قد توجّهنا إليك بعمّ نبيّك، ثم دعا العباس.

وأخرج ابن أبى الدنيا: إن عمر لما أراد أن يفرض للناس قالوا له: ابدأ بنفسك، فأبى وبدأ بالأقرب فالأقرب إلى رسول الله (ص) فلم يأت قبيلته إلاّ بعد خمس قبائل، وفرض للبدريّين خمسة آلاف ولمن ساواهم إسلاماً ولم يشهد بدراً خمسة آلاف وللعباس اثنى عشر ألفاً وللحسنين كأبيهما، ومن ثم قال ابن عباس: إنه كان يحبهما لأنه فضلهما فى العطاء على أولاده.

وأخرج الدارقطنى: أنه قال لفاطمة: ما من الخلق أحدٌ أحبُّ إلينا من أبيك، وما من أحد أحبّ إلينا منك بعد أبيك(۶۸).

وأخرج أيضاً: أنّ عمر سأل عن على، فقيل له: ذهب إلى أرضه فقال: اذهبوا بنا إليه، فوجدوه يعمل فعملوا معه ساعة ثم جلسوا يتحدّثون فقال له على: أرأيت لو جاءك قوم من بنى إسرائيل فقال لك أحدهم أنا ابن عم موسى (عليه السلام) أكانت له عندك أثرة على أصحابه؟ قال: نعم، قال: فأنا والله أخو رسول الله (ص) وابن عمّه، قال: فنزع عمر رداءه فبسطه فقال: لا والله لا يكون لك مجلس غيره حتى نفترق، فلم يزل جالساً عليه حتى تفرّقوا.

وأخرج أيضاً: أن عمر سأل علياً عن شيءٍ فأجابه فقال له عمر: أعوذ بالله أن أعيش فى قوم لست فيهم يا أبا حسن.

وأخرج أيضاً: أن الحسن استأذن على عمر فلم يأذن له، فجاء عبد الله بن عمر فلم يأذن له، فمضى الحسن فقال عمر: علىّ به، فجاء فقال: قلت: إن لم يؤذن لعبد الله لا يؤذن لى، فقال: أنت أحق بالإذن منه، وهل أنبت الشعر فى الرأس بعد الله إلاّ أنتم؟

وفى رواية له: إذا جئت فلا تستأذن.

وأخرج أيضاً: أنه جاء أعرابيان يختصمان فأذن لعلى فى القضاء بينهما فقضى، فقال أحدهما: هذا يقضى بيننا؟ فوثب إليه عمر وأخذ بتلبيبه وقال: ويحك ما تدرى من هذا؟ هذا مولاك ومولى كلّ مؤمن، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن.

وأخرج أحمد: أنّ رجلاً سأل معاوية عن مسألة فقال: اسأل عنها علياً فهو أعلم، فقال: جوابك فيها أحبّ إلىّ من جواب على، قال: بئس ما قلت، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله (ص) يعزّه بالعلم عزّاً، ولقد قال له: أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبىّ بعدى(۶۹).

وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذ منه، وأخرجه آخرون بنحوه لكن زاد بعضهم: قم لا أقام الله رجليك ومحا اسمه من الديوان ولقد كان عمر يسأله ويأخذ عنه ولقد شهدته إذا أشكل عليه شيء قال: هاهنا على.

وقال عمر بن عبد العزيز لعبد الله بن حسن بن حسين: إذا كانت لك حاجة فاكتب لى بها فإنى أستحى من الله أن يراك على بابى، ولما دخلت عليه فاطمة بنت على وهو أمير المدينة أخرج من عنده وقال لها: ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلىّ منكم، ولأنتم

أحبّ إليّ من أهل بيتى.

وقال أبو بكر بن عياش كما فى الشفاء: لو أتانى أبو بكر وعمر وعلى لبدأت بحاجة على قبلهما لقرابته من رسول الله (ص) ولأن أخرّ من السماء إلى الأرض أحب إليّ من أن أقدمهما عليه.

ودخل عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السن وله وفرة فرفع عمر مجلسه وأقبل عليه، فلامه قومه، فقال: إن الثقة حدثنى حتى كأنى أسمعه من فى رسول الله (ص)، إنما فاطمة بضعة منى يسرنى ما يسرها، وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها.

وأخرج الخطيب أن أحمد بن حنبل كان إذا جاءه شيخ أو حدث من قريش أو الأشراف قدمهم بين يديه وخرج وراءهم، وكان أبو حنيفة يعظم أهل البيت كثيراً ويتقرب بالانفاق على المتسترين منهم والظاهرين حتى قيل أنه بعث إلى متستر منهم بإثنى عشر ألف درهم وكان يحض أصحابه على ذلك.

ولمبالغة الشافعى فيهم صرح بأنه من شيعتهم حتى قيل كيت وكيت، فأجاب عن ذلك بالنظم البديع وله أيضاً:

آل النبى ذريعتى وهم إليه وسيلتى

أرجو بهم أُعطى غداً بيدى اليمين صحيفتى

وقارف الزهرى ذنباً فهام على وجهه، فقال له زين العابدين: قنوطك من رحمة الله التى وسعت كل شىء أعظم عليك من ذنبك، فقال الزهرى: الله أعلم حيث يجعل رسالته، فرجع إلى أهله وماله.

فيما أخبر به (ص) فى شأن عترته (ع)

قال (ص): إنّ أهل بيتى سيلقون بعدى من أُمتى قتلاً وتشريداً، وإن أشدّ قوماً لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم.

صححه الحاكم، وممن وثقه البخارى.

ومن أشد الناس بغضاً لأهل البيت مروان بن الحكم، وكأن هذا هو سرّ الحديث الذى صححه الحاكم: أن عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبى (ص) فيدعو له، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون.

وروى بعده بيسير عن محمد بن زياد قال: لما بايع معاوية لابنه يزيد قال مروان: سنّة أبى بكر وعمر، فقال عبد الرحمن بن أبى بكر: سنّة هرقل وقيصر، فقال له مروان: أنت الذى أنزل الله فيك: والذى قال لوالديه: أُفّ لكما، فبلغ ذلك عائشة، فقالت: كذب والله ما هو به، ولكن رسول الله (ص) لعن أبا مروان ومروان فى صلبه ثم روى عن عمرو بن مرّة الجهنى وكانت له صحبة أن الحكم بن العاص استأذن على رسول الله (ص) فعرف صوته فقال: ائذنوا له، عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلاّ المؤمن منهم وقليل ما هم يترفهون فى الدنيا ويضيعون فى الآخرة ذووا مكر وخديعة يعطون فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق.

قال ابن ظفر: وكان الحكم هذا يرمى بالداء العضال وكذلك أبو جهل، ذكر ذلك كله الدميرى فى حياة الحيوان.

ومرّ فى أحاديث المهدى أنه (ص) رأى فتية من بنى هاشم فاغرورقت عيناه وتغيّر لونه ثم قال: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتى سيلقون بعدى بلاءً وتشريداً وتطريداً.

وأخرج ابن عساكر: أول الناس هلاكاً قريش وأول هلاك قريش هلاك أهل بيتى.

ونحوه للطبرانى وأبى يعلى.

وأخرج أحمد وغيره ما حاصله: إنه (ص) كان إذا قدم من سفر أتى فاطمة وأطال المكث عندها، ففى مرّة صنعت لها مسكين من ورق وقلادة وقرطين وستر باب بيتها، فقدم (ص) ودخل عليها ثم خرج وقد عُرف الغضب فى وجهه حتى جلس على المنبر، فظنت أنه إنما

فعل ذلك لما رأى ما صنعته، فأرسلت به إليه ليجعله فى سبيل الله فقال: فعلت فداها أبوها، ثلاث مرات، ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ولو كانت الدنيا تعدل عند الله فى الخير جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء، ثم قام فدخل (ص) عليها.

زاد أحمد: أنه (ص) أمر ثوبان أن يدفع ذلك إلى بعض أصحابه وبأن يشترى لها قلادة من عصب وسوارين من عاج وقال: إن هؤلاء أهل بيتى ولا أُحب أن يأكلوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا.

فتأمّل ذلك، تجد الكمال ليس إلّا بالتحلّى بالزهد والورع والدأب فى الطاعات، والتخلى عن سائر الرذالات وليس فى التحلى بجمع الأموال ومحبة الدنيا والترفع بها إلّا غاية المتاعب والنقائص والمثالب، ولقد طلق على الدنيا ثلاثاً وقال: لقد رقعت مدرعتى هذه حتى استحييتُ من راقعها، ومر فى فضائله طرف من ذلك.

وقد وقع الاصطلاح على اختصاص الذرية الطاهرة ببنى فاطمة من بين ذوى الشرف كالعباسيين والجعافرة بلبس الأخضر إظهاراً لمزيد شرفهم.

قيل: وسببه أن المأمون أراد أن يجعل الخلافة فيهم ويدل عليه ما يأتى فى ترجمة على الجواد من أنه عهد إليه بالخلافة فاتخذ لهم شعاراً أخضر وألبسهم ثياباً خضراء لكون السواد شعار العباسيين والبياض شعار سائر المسلمين فى جمعهم ونحوها والأحمر مختلف فى تحريمه والأصفر شعار اليهود فى آخر الأمر ثم انثنى عزمه عن ذلك ورد الخلافة لبنى العباس فبقى ذلك شعار الأشراف العلويين من بنى الزهراء، لكنهم اختصروا الثياب إلى قطعة ثوب خضراء توضع على عمائمهم شعاراً لهم، ثم انقطع ذلك إلى أواخر القرن الثامن، ثم فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أمر السلطان الأشرف شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن قلاوون أن يمتازوا على الناس بعصائب خُضر على العمائم ففعل ذلك بأكثر البلاد كمصر والشام وغيرهما، وفى ذلك يقول ابن جابر الأندلسى الأعمى نزيل حلب وهو صاحب شرح ألفية ابن مالك المسمى بالأعمى والبصير:

جعلوا لأبناء الرسول علامة أن العلامة شأن من لم يُشهر

نور النبوّة فى كريم وجوههم تغنى الشريف عن الطراز الأخضر

وقال فى ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره ومن أحسنه قول الأديب محمد بن إبراهيم بن بركة الدمشقى المزنى:

أطراف تيجان أتت من سندس خضر بأعلام من الأشراف

والأشرف السلطان خصّهم بها شرفاً ليعرفهم من الأطراف

۱ بل كانت عليها السلام قد أكملت التاسعة من عمرها وذلك لأن ولادتها فى السنة الخامسة من البعثة، كما أنه صلى الله عليه وسلم فى الخامسة والعشرين من عمره.

۲ الفرقان: ۵۴. ۳ الأحزاب ۳۳.

۴ بل الصحيح هو ما مر: من أنه (ص) قال لها: إنك على خير ولم يعدها من أهله.

۵ الصحيح هو ما أخرجه أحمد عن أبى سعيد الخدرى كما فى الصفحة السابقة: من أن الآية نزلت فى خمسة: النبى (ص) وعلى، وفاطمة، والحسن والحسين (عليهم السلام).

۶ و ۷ و ۸ ومضت الإشارة إلى ما هو الصحيح من ذلك، فإن الآية نزلت فى خمس على ما عرفت.

۹ بل جعلهم الله تعالى بنصّ من كتابه خلفاء رسوله باطناً وظاهراً حيث قال تعالى: (إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) المائدة: ۵۵. ونصّ الرسول (ص) عليهم واحداً واحداً بأسمائهم وألقابهم وقال: عدد أو صيائى كعدد نقباء بنى إسرائيل.

۱۰ الأقرب هو التنافى، لأن النبى (ص) هو الذى يستحق الصلاة من الله تعالى ومن كتب الله له الطهارة والعصمة وهم الخمسة الذين نزلت آية التطهير فى حقهم ورسول الله (ص) سيدهم.

۱۱ و ۱۲ أهل البيت فى آية التطهير كما عرفت نزلت فى خمسة ولم تشمل أزواجه (ص).

۱۳ الصافات: ۱۳۰. ۱۴ طه: ۱. ۱۵ الأحزاب: ۳۳.

۱۶ آل عمران: ۳۱. ۱۷ الشورى: ۲۳. ۱۸ الصافات: ۲۴.

۱۹ ومن الموالاة لهم: عدم غمطهم حقهم، وفى مقدمة حقوقهم: الخلافة التى نص الكتاب وصرح به الرسول (ص) بأنها تكون لهم من بعده.

۲۰ قد عرفت مما مضى وما سيأتى أن أهل البيت فى هذا الحديث وغيره هو إشارة منه (ص) إلى من عنتهم الآية المباركة بالتطهير.

۲۱ ألا يشمل عدم التقدم عليهم أمر الخلافة؟.

۲۲ والتى تعضد نصوص الكتاب فى إمامة على (عليه السلام) وأولاده الأحد عشر وخلافتهم بعد الرسول (ص).

۲۳ وهو الصحيح. ۲۴ وسيأتى ان المراد: أهل البيت (عليهم السلام).

۲۵ وهل ينسجم التمسك بهم مع الإعراض عن إمامتهم وخلافتهم؟.

۲۶ آل عمران ۱۰۳. ۲۷ التوبة ۱۱۹. ۲۸ آل عمران ۱۰۵.

۲۹ النساء ۵۴. ۳۰ الأنفال ۳۳.

۳۱ نعم، هم أمان من الاختلاف لو اجتمعت الأمة على إمامتهم وخلافتهم التى كتبها الله لهم بعد نبيه.

۳۲ أهل البيت هم الخمسة الذين عنتهم آية التطهير، وتسعة من ذرية الحسين (عليه السلام) كما نص عليهم الرسول (ص) يوم الغدير وغيره ليكملوا العدة التى أشار إليها الحديث الشريف: عدد أوصيائى عدد نقباء بنى إسرائيل.

۳۳ طه ۸۲. ۳۴ آل عمران ۶۱.

۳۵ فى الأحاديث الصحيحة أنّ علياً لم ينكحها إيّاه.

۳۶ يعنى أبا لهب. ۳۷ الأحزاب: ۳۰. ۳۸ الأحزاب: ۴۰.

۳۹ الضحى: ۵.

۴۰ يقول تعالى بالنسبة إلى أزواج النبى (ص): (فإن الله أعد للمحسنات منكنّ أجراً عظيماً). الأحزاب: ۲۹، أى وعد المحسنات منهنّ. وكذا بالنسبة إلى صحابة النبى (ص) فإنه تعالى يقول: (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً) (الفتح: ۲۹).

۴۱ الطور: ۲۱. ۴۲ البيّنة: ۷. ۴۳ الزخرف: ۶۱.

۴۴ فى الصحيح: أن الأنصار جاءوا بأصوع من البر هدية، فأمر النبى فطحن البر وخبز وذبح الكبش بعد أن اشترى على (عليه السلام) تمراً وسمناً وصنعه رسول الله (ص) بيده ثم قال لعلى (عليه السلام): ادعُ من أحببت، قال (عليه السلام): فأتيت المسجد وهو غاص بأهله فناديت: أجيبوا إلى وليمة فاطمة بنت محمد صلى الله عليهما وآلهما، فأجابوا.

۴۵ ليس فى الصحيح: اسم أبيه اسم أبى، بل مكانه: وكنيته كنيتى.

۴۶ مضت الإشارة إلى أنه ليس فى الصحيح اسم أبيه اسم أبى النبى، بل اسمه اسم النبى، وكنيته كنية النبى (ص).

۴۷ الأعراف: ۴۶. ۴۸ الشورى: ۲۳-۲۵.

۴۹ نعم، أنهم اتّهموه، لأنه(ص) لم يكن هو الذى يحثهم على قرابته من بعده، وإنما الله تعالى هو الذى يحثهم ويحثنا على قرابته من بعده ويأمرنا بمودّتهم وإطاعتهم.

۵۰ آل محمد هم أهل البيت، وقد شهدت لهم آية التطهير كما عرفت بالطهارة والعصمة من الذنوب بل الله تعالى غفور لذنوب محبّيهم وشيعتهم كما فى الصحيح.

۵۱ مريم: ۹۶.

۵۲ وقد قال تعالى: «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً». الأحزاب: ۵۷.

۵۳ آل عمران: ۳۴.

۵۴ ومعرفة حقهم (صلوات الله عليهم أجمعين) لا يتمّ إلّا بمعرفة ما جعله الله لهم علينا فى كتابه حيث قال تعالى: (إنّما وليّكم الله)أى: صاحب اختياركم ومن يجب عليكم طاعته، ثم جعل ذلك لرسوله ولوليّه على أمير المؤمنين والأئمة المعصومين الأحد عشر من بنيه فقال: «ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» ثم أضاف: «ومن تولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون». المائدة: ۵۵ و۵۶.

۵۵ قد عرفت أن المراد الصالحين منهم لقوله تعالى: «وعد الله الذين أمنوا وعملوا الصالحات منهم». الفتح: ۲۹.

۵۶ وفيه تصريح بليغ: بأن اتّباع سنة الرسول(ص) هو اتّباع أهل بيته.

۵۷ لا دليل على أنه موضوع، بل يدل على صحّته الروايات المتقدمة مثل: «لا يبغضنا أهل البيت أحد إلّا أدخله الله النار» فهل الله يدخل النار من هو مستحقّ للشفاعة، أو من هو محروم عنها؟ ومثل: «من أبغض أهل البيت فهو منافق» وقول جابر: «ما كنا نعرف المنافقين إلّا ببغضهم عليّاً».

۵۸ لا دليل على أنه موضوع، بل يدل على صحّته الروايات المتقدمة مثل: «لا يبغضنا أهل البيت أحد إلّا أدخله الله النار» فهل الله يدخل النار من هو مستحقّ للشفاعة، أو من هو محروم عنها؟ ومثل: «من أبغض أهل البيت فهو منافق» وقول جابر: «ما كنا نعرف المنافقين إلّا ببغضهم عليّاً».

۵۹ يشهد بصحتها الأخبار الأُخر الواردة بهذه المضامين.

۶۰ قد عرفت: أن أهل البيت الذين عنتهم الآية الكريمة: آية التطهير، شهدت لهم بالعصمة والطهارة من كل رجس ونقص.

۶۱ راجع التاريخ فى إبعاد على عليه السلام من الخلافة، وابتزاز فدك من فاطمة، وإحراق بيتهم عليهم وفيه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام)!

۶۲ وهل الاعتذار قولاً مع الإصرار على المنع والقطع عملاً، مقبول؟

۶۳ و ۶۴ لا يخفى أن منبر رسول الله (ص) كناية عن منصب الخلافة.

۶۵ إذا كان على أعظم حقاً عند رسول الله(ص) فى حياة الرسول، فهو أعظم حقّاً بعد ارتحال الرسول أيضاً.

۶۶ نعم، لما أخذ النبى (ص) يوم الغدير بأمر من الله تعالى البيعة لعلى (عليه السلام) بإمرة المؤمنين وبالولاية عليهم من بعده أنزل الله تعالى: «اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتى ورضيتُ لكم الإسلام ديناً». المائدة: ۳.

۶۷ الكهف: ۸۲.

۶۸ راجع قصّة اقتحام بيت فاطمة (عليها السلام) من دون إذنها مع أنّ رسول الله (ص) كان لا يدخله إلّا بإذنها.

۶۹ إذا تمّ الاعتراف بحديث المنزلة، فقد تمّ الاعتراف بأنّ عليّاً(عليه السلام) هو الخليفة بعد الرسول (ص) كما كان هارون خليفة موسى (عليه السلام) إلّا النبوة، فكيف ينسجم هذا مع ادعائه الخلافة لنفسه ومحاربته علياً (عليه السلام) عليها، وقد قال رسول الله (ص) لعلى (عليه السلام): «يا على حربك حربى، وسلمك سلمى».

أربع وأربعون حديثاً فى أهل البيت (ع)

الحديث الأول:

أخرج الديلمى عن أبى سعيد: أن رسول الله (ص) قال: اشتد غضب الله على من آذانى فى عترتى.

وورد أنه (ص) قال: من أحب أن يُنسأ أى يؤخر فى أجله وأن يمتع بما خوله الله فليخلفنى فى أهلى خلافة حسنة، فمن لم يخلفنى فيهم

بتر عمره، وورد عليّ يوم القيامة مسودّاً وجهه.

الحديث الثانى:

أخرج الحاكم عن أبى ذر: أن رسول الله (ص) قال: إن مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك.

وفى رواية للبزاز عن ابن عباس وعن ابن الزبير، وللحاكم عن أبى ذر أيضاً: مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق.

الحديث الثالث:

أخرج الطبرانى عن ابن عمر: أول من أشفع له يوم القيامة من أُمتى أهل بيتى ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من آمن بى واتّبعنى من أهل اليمن ثم من سائر العرب ثم الأعاجم ومن أشفع له أولاً أفضل.

الحديث الرابع:

أخرج الحاكم عن أبى هريرة: أن رسول الله (ص) قال: خيركم خيركم لأهلى من بعدى.

الحديث الخامس:

أخرج الطبرانى الحاكم عن عبد الله بن أبى أوفى: أن النبى (ص) قال: سألت ربى ألا أتزوج إلى أحد من أمتى ولا يتزوّج إلىَّ أحد من أُمتى إلا كان معى فى الجنة(۱) فأعطانى ذلك.

الحديث السادس:

أخرج الشيرازى فى الألقاب عن ابن عباس: أن رسول الله (ص) قال: سألت ربى ألا أُزوّج إلا من أهل الجنّة(۲).

الحديث السابع:

أخرج أبو القاسم بن بشران فى أمانيه عن عمران بن حصين: أن رسول الله (ص) قال: سألت ربى ألا يدخل أحد من أهل بيتى النار، فأعطانى.

الحديث الثامن:

أخرج الترمذى والحاكم عن ابن عباس: أن النبى (ص) قال: أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى.

الحديث التاسع:

أخرج ابن عساكر عن على كرم الله وجهه: أن رسول الله (ص) قال: من صنع إلى أهل بيتى يداً كافأته عليها يوم القيامة.

الحديث العاشر:

أخرج الخطيب عن عثمان: أن رسول الله (ص) قال: من صنع صنيعة إلى أحد من خلَف عبد المطّلب فى الدنيا فعلىّ مكافأته إذا لقينى.

الحديث الحادى عشر:

أخرج ابن عساكر عن على: أن رسول الله (ص) قال: من آذى شعرة منى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله.

الحديث الثانى عشر:

أخرج أبو يعلى عن سلمة بن الأكوع: أن النبى (ص) قال: النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأُمتى.

الحديث الثالث عشر:

أخرج الحاكم عن أنس: أن رسول الله (ص) قال: وعدنى ربّى فى أهل بيتى من أقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ، أن لا يعذبهم.

الحديث الرابع عشر:

أخرج ابن عدى والديلمى عن على: أن رسول الله (ص) قال: أثبتكم على الصراط أشدّكم حباً لأهل بيتى ولأصحابى(۳).

الحديث الخامس عشر:

أخرج الترمذى عن حذيفة: أنّ رسول الله (ص) قال: إن هذا مَلَك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم على ويبشرنى بأن فاطمة سيدة نساء اهل الجنّة وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

الحديث السادس عشر:

أخرج الترمذى وابن ماجة وابن حبان والحاكم: أن رسول الله (ص) قال: أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم(۴).

الحديث السابع عشر:

أخرج ابن ماجة عن العباس بن عبد المطلب: أن رسول الله (ص) قال: ما بال أقوام إذا جلس إليهم أحد من أهل بيتى قطعوا حديثهم، والذى نفسى بيده لا يدخل قلب امرئ الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتى.

الحديث الثامن عشر:

أخرج أحمد والترمذى عن على أن رسول الله (ص) قال: من أحبَّنى وأحبَّ هذين وأباهما وأمّهما كان معى فى درجتى يوم القيامة.

الحديث التاسع عشر:

أخرج ابن ماجة والحاكم: أن رسول الله (ص) قال: نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة، أنا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدى.

الحديث العشرون:

أخرج الطبرانى عن فاطمة الزهراء: أن النبى (ص) قال: لكل بنى أُنثى عصبة ينتمون إليه إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم.

الحديث الحادى والعشرون:

أخرج الطبرانى عن ابن عمر: أن النبى (ص) قال: كل بنى أُنثى فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإنى أنا عصبتهم وأنا أبوهم.

الحديث الثانى والعشرون:

أخرج الطبرانى عن فاطمة: أن النبى (ص) قال: كل بنى أُنثى ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فإنى أنا وليهم وأنا عصبتهم وأنا أبوهم.

الحديث الثالث والعشرون:

أخرج أحمد والحاكم عن المسْوَر أن النبى (ص) قال: فاطمة بضعة منى يغضبنى ما يغضبها(۵) ويبسطنى ما يبسطها وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبى وسببى وصهرى.

الحديث الرابع والعشرون:

أخرج البزاز وأبو يعلى والطبرانى والحاكم عن ابن مسعود: أن النبى (ص) قال: فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريّتها على النار.

الحديث الخامس والعشرون:

أخرج الشافعى وأحمد عن عبد الله بن حنطب قال: خطبنا رسول الله (ص) يوم الجمعة فقال: أيها الناس قدموا قريشاً(۶) ولا تقدموها وتعلّموا منها ولا تعلموها.

الحديث السادس والعشرون:

أخرج البيهقى عن جبير بن مطعم: أن النبى (ص) قال: يا أيها الناس لا تتقدموا قريشاً فتهلكوا ولا تخلَّفوا عنها فتضلّوا ولا تعلموها وتعلموا منها فإنها أعلم منكم، لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بالذى لها عند الله عزّ وجلّ.

الحديث السابع والعشرون:

أخرج الشيخان عن جابر: أن النبى (ص) قال: الناس تبع لقريش فى هذا الشأن مسلمُهم تبع لمسلمهم وكافرهُم تبع لكافرهم(۷)،

والناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا.

الحديث الثامن والعشرون:

أخرج البخارى عن معاوية: أن النبى (ص) قال: إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلّا أكبّه الله على وجهه فى النار.

الحديث التاسع والعشرون:

أخرج الطبرانى عن ابن عباس: أن النبى (ص) قال: أمان لأهل الأرض من الغرق القوس، وأمان لأهل الأرض من الاختلاف الموالاة لقريش، قريش أهل الله فإذا خالفَتْها قبيلة من العرب صاروا حزب إبليس— والقوس هو المشهور بقوس قزح سمى به لأنه أول ما رؤى فى الجاهلية على قزح جبل بالمزدلفة، أو لأن قزح هو الشيطان، ومن ثَمّ قال علىّ: لا تقل قوس قزح، قزح هو الشيطان، ولكنها قوس الله تعالى هى علامة كانت بين نوح (على نبيّنا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام) وبين ربّه عزّ وجل وهى أمانٌ لأهل الأرض من الغرق.

الحديث الثلاثون:

أخرج ابن عوفة العبدى: أن النبى (ص) قال: أحبوا قريشاً فإن من أحبّهم أحبّه الله.

الحديث الحادى والثلاثون:

أخرج مسلم والترمذى وغيرهما عن واثلة: أن النبى (ص) قال: إنّ الله اصطفى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم.

وفى رواية: أن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذّه خليلاً، واصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، ثم اصطفى من ولد إسماعيل نزاراً، ثم اصطفى من ولد نزار مضرَ، ثم اصطفى من مضر كنانة، ثم اصطفى من كنانة قريش، ثم اصطفى من قريش بنى هاشم، ثم اصطفى من بنى هاشم بنى عبد المطَّلب، ثم اصطفانى من بنى عبد المطَّلب.

الحديث الثانى والثلاثون:

أخرج أحمد بسند جيّد عن العباس قال: بلغ رسول الله (ص) ما يقول الناس فصعد المنبر فقال: من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله، فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطَّلب، إن الله خلق الخلق فجعلنى من خير خلقه، وجعلهم فرقتين فجعلنى من خيرهم فرقة، وخلق القبائل فجعلنى من خيرهم قبيلة، وجعلهم بيوتاً فجعلنى من خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً وأنا خيركم نفساً.

الحديث الثالث والثلاثون:

أخرج أحمد والمحاملى والمخلص والذهبى وغيرهم عن عائشة قالت: قال رسول الله (ص) قال جبريل (ع): قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد (ص)، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم.

الحديث الرابع والثلاثون:

أخرج أحمد والترمذى والحاكم عن سعد: أن النبى (ص) قال: من يرد هوان قريش أهانه الله.

الحديث الخامس والثلاثون:

أخرج أحمد ومسلم عن جابر: أن النبى (ص) قال: الناس تبع لقريش فى الخير والشر.

الحديث السادس والثلاثون:

أخرج أحمد عن ابن مسعود: أن النبى (ص) قال: أما بعد يا معشر قريش فإنكم أهل هذا الأمر(۸) ما لم تعصوا الله فإذا عصيتموه بعث الله عليكم من يلحوكم كما يلحى هذا القضيب.

الحديث السابع والثلاثون:

أخرج أحمد ومسلم عن معاوية: أن النبى (ص) قال: إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله ما أقاموا الدين(۹).

الحديث الثامن والثلاثون:

أخرج أحمد والنسائى والضياء عن أنس: أن النبى (ص) قال: الأئمة من قريش(۱۰) ولهم عليكم حق، ولكم مثل ذلك ما إن استرحموا رحموا وإن استحكموا عدلوا وإن عاهدوا وفوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

الحديث التاسع والثلاثون:

أخرج الطبرانى عن جابر بن سمرة: أن النبى (ص) قال: يكون بعدى اثنا عشر أميراً كلهم من قريش(۱۱).

الحديث الأربعون:

أخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم: أن النبى (ص) قال: أُعطِيَتْ قريش(۱۲) ما لم يُعطَ الناس، أُعطوا ما أمطرت السماء وما جرت به الأنهار وما سالت به السيول.

الحديث الحادى والأربعون:

أخرج الخطيب وابن عساكر عن أبى هريرة: أن النبى (ص) قال: اللهم اهدِ قريشاً فإن عالمها يملأ طباق الأرض علماً، اللهمّ كما أذقتهم عذاباً أذقهم نوالاً.

الحديث الثانى والأربعون:

أخرج الحاكم والبيهقى: أن النبى (ص) قال: الأئمة من قريش أبرارها أُمراء أبرارها وفجّارها أُمراء فجّارها(۱۳).

الحديث الثالث والأربعون:

أخرج أحمد وغيره: أن النبى (ص) قال: انظروا قريشاً فخذوا من قولهم.

الحديث الرابع والأربعون:

أخرج البخارى فى الأدب والحاكم والبيهقى عن أُم هانى: أن النبى (ص) قال: فضّل الله قريشاً بسبع خصال، لم يعطها أحداً قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم، فضّل الله قريشاً أنى منهم، وأن النبوّة فيهم، وأن الحجابة فيهم، وأن السقاية فيهم، ونصرهم على الفيل، وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم: لإيلاف قريش.

وفى رواية الطبرانى: فضّل الله قريشاً بسبع خصال: فضّلهم بأنهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبد الله إلا قريشى، وفضّلهم بأن نصرهم يوم الفيل وهم مشركين، وفضّلهم بأن نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد غيرهم من العالَمين وهى: لإيلاف قريش، وفضّلهم بأنّ فيهم النبوّة والخلافة والحجابة والسقاية.

فى الأحاديث الواردة فى بعض أهل البيت كفاطمة وولديها (ع)

الحديث الأول:

أخرج أبو بكر فى الغيلانيات عن أبى أيوب: أن النبى (ص) قال: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش: يا أهل الجمع نكسوا رؤوسكم وغضّوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط، فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق.

الحديث الثانى:

أخرج أيضاً عن أبى هريرة: أن النبى (ص) قال: إذا كان يوم القيامة ينادى منادٍ من بطنان العرش: أيها الناس غضّوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة الجنة.

الحديث الثالث:

أخرج أحمد، والشيخان، وأبو داود، والترمذى، عن المسور بن مخرمة: أن رسول الله (ص) قال: إن بنى هشام بن المغيرة استأذنوا أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب فلا آذن، ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فإنما هى بضعة منى

يريبنى ما يريبها ويؤذينى ما يؤذيها.

الحديث الرابع:

أخرج الشيخان عن فاطمة: أن النبى (ص) قال لها: بأن جبريل كان يعارضنى القرآن كل سنة مرة، وأنه عارضنى العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلى وإنك أول أهل بيتى لحاقاً بى فاتقى الله واصبرى فإنه نعم السلف أنا لك.

الحديث الخامس:

أخرج أحمد والترمذى والحاكم عن ابن الزبير: أن النبى (ص) قال: إنما فاطمة بضعة منى يؤذينى ما آذاها وينصبنى ما أنصبها.

الحديث السادس:

أخرج الشيخان عنها: أن النبى (ص) قال لها: يا فاطمة ألا ترضين أن تكونى سيّدة نساء المؤمنين؟(۱۴).

الحديث السابع:

أخرج الترمذى والحاكم عن أُسامة بن زيد: أن النبى (ص) قال: أحبّ أهلى إلىّ فاطمة.

الحديث الثامن:

أخرج الحاكم عن أبى سعد، أن النبى (ص) قال: فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة إلاّ مريم بنت عمران(۱۵).

الحديث التاسع:

عن أبى هريرة: أن النبى (ص) قال لعلى: فاطمة أحبّ إلىّ منك وأنت أعزّ علىّ منها.

الحديث العاشر:

أخرج أحمد والترمذى عن أبى سعيد والطبرانى عن عمر، وعن على وعن جابر وعن أبى هريرة وعن أُسامة بن زيد وعن البراء، وابن عدى عن ابن مسعود: أن النبى (ص) قال: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

الحديث الحادى عشر:

أخرج ابن عساكر عن على وعن ابن عمر، وابن ماجة، والحاكم عن ابن عمر، والطبرانى عن قرة، وعن مالك بن الحويرث، والحاكم عن ابن مسعود: أن النبى (ص) قال: ابناى الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خيرٌ منهما.

الحديث الثانى عشر:

أخرج أحمد والترمذى والنسائى وابن حبان عن حذيفة: أن النبى (ص) قال له: أما رأيت العارض الذى عرض لى قبل ذلك هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربّه عزّ وجلّ أن يسلّم علىَّ ويبشرنى أنّ الحسن والحسين سيّدا أهل الجنّة وأنّ فاطمة سيّدة نساء الجنّة.

الحديث الثالث عشر:

أخرج الطبرانى عن فاطمة: أن النبى (ص) قال: أما حسن فله هيبتى وسؤددى، وأما حسين فإنّ له جرأتى وجودى.

الحديث الرابع عشر:

أخرج الترمذى عن ابن عمر: أن النبى (ص) قال: إن الحسن والحسين ريحانتاى من الدنيا.

الحديث الخامس عشر:

أخرج ابن عدى وابن عساكر عن أبى بكرة: أن النبى (ص) قال: إن ابنى هذين ريحانتاى من الدنيا.

الحديث السادس عشر:

أخرج الترمذى وابن حبان عن أسامة بن زيد: أن النبى (ص) قال: هذان ابناى وابنا ابنتى، اللهمّ إنى أحبهما فأحبّهما وأحبّ من يحبهما.

الحديث السابع عشر:

أخرج أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان والحاكم عن بريدة: أن النبى (ص) قال: صدق الله ورسوله(إنما أموالكم وأولادكم فتنة)(۱۶) نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما.

الحديث الثامن عشر:

أخرج أبو داود عن المقدام بن معديكرب: أن النبى (ص) قال: هذا منى يعنى الحسن، والحسين من على(۱۷).

الحديث التاسع عشر:

أخرج البخارى وأبو يعلى وابن حبان والطبرانى والحاكم عن أبى سعيد: أن النبى (ص) قال: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابنىْ الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريّا(۱۸)، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم.

الحديث العشرون:

أخرج أحمد وابن عساكر عن المقدام بن معديكرب: أن النبى (ص) قال: الحسن منى والحسين من على(۱۹).

الحديث الحادى والعشرون:

أخرج الطبرانى عن عقبة بن عامر: أن النبى (ص) قال: الحسن والحسين سيفا العرش وليسا بمعلقين.

الحديث الثانى والعشرون:

أخرج أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى والنسائى عن أبى بكرة: أن النبى (ص) قال: إن ابنى هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، يعنى الحسن(۲۰).

الحديث الثالث والعشرون:

أخرج البخارى فى الأدب المفرد، والترمذى وابن ماجة عن يعلى بن مرة: أن النبى (ص) قال: حسين منّى وأنا منه، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، الحسن والحسين سبطان من الأسباط.

الحديث الرابع والعشرون:

أخرج الترمذى عن أنس: أن النبى (ص) قال: أحبّ أهل بيتى إلىّ الحسن والحسين.

الحديث الخامس والعشرون:

أخرج أحمد وابن ماجة والحاكم عن أبى هريرة: أن النبى (ص) قال: من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى.

الحديث السادس والعشرون:

أخرج أبو يعلى عن جابر: أن رسول الله (ص) قال: من سرّه أن ينظر إلى سيّد شباب أهل الجنّة فلينظر إلى الحسن.

الحديث السابع والعشرون:

أخرج البغوى وعبد الغنى فى الإيضاح، عن سلمان رضى الله عنه: أن النبى (ص) قال: سمى هارون ابنيه شبراً وشبيراً وإنى سميت ابنى الحسن والحسين بما سمى به هارون ابنيه.

وأخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان قال: الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنّة ما سميت العرب بهما فى الجاهلية.

الحديث الثامن والعشرون:

أخرج ابن سعد والطبرانى عن عائشة: أن النبى (ص) قال: أخبرنى جبريل أن ابنى الحسين يقتل بعدى بأرض ألطف وجاءنى بهذه التربة فأخبرنى أن فيها مضجعه.

الحديث التاسع والعشرون:

أخرج أبو داود والحاكم عن أم الفضل بنت الحرث: أن النبى (ص) قال: أتانى جبريل فأخبرنى أن أمّتى ستقتل ابنى هذا يعنى الحسين وأتانى بتربة من تربة حمراء.

وأخرج أحمد: لقد دخل على البيت ملك لم يدخل علىّ قبلها فقال لى: إن ابنك هذا حسيناً مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التى يُقتل بها، قال: فأخرج تربة حمراء.

الحديث الثلاثون: فى استشهاد الإمام الحسين (ع):

أخرج البغوى فى معجمه من حديث أنس: أن النبى (ص) قال: استأذن ملك القطر ربّه أن يزورنى فأذن له وكان فى يوم أم سلمة فقال رسول الله (ص): يا أم سلمة احفظى علينا الباب لا يدخل أحد، فبينما هى على الباب إذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله (ص) فجعل رسول الله (ص) يلثمه ويقبّله، فقال له الملك: أتحبّه؟ قال: نعم، قال الملك: إن أمتك ستقتله وإن شئت أريك المكان الذى يقتل فيه، فأراه فجاء بسهلة أو تراب أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته فى ثوبها.

قال ثابت: كنا نقول أنها كربلاء.

وأخرجه أيضاً أبو حاتم فى صحيحه.

وروى أحمد نحوه.

وروى عبد الرحمن بن حميد وابن أحمد نحوه أيضاً، لكن فيه: أن الملك جبريل، فإن صح فهما واقعتان.

وزاد الثانى أيضاً: أنه (ص) شمّها وقال: ريح كرب وبلاء، والسهلة بكسر أوله رمل خشن ليس بالدقاق الناعم.

وفى رواية الملا ـ وابن أحمد فى زيادة المسند ما قالت ثم ناولنى كفاً من تراب أحمر، وقال: إن هذا من تربة الأرض التى يُقتل بها، فمتى صار دماً فاعلمى أنه قد قُتل، قالت أم سلمة: فوضعته فى قارورة عندى وكنت أقول: إن يوماً يتحوّل فيه دماً ليوم عظيم.

وفى رواية عنها: فأصبته يوم قتل الحسين وقد صار دماً.

وفى أخرى: ثم قال يعنى جبريل: ألا أريك تربة مقتله؟ فجاء بحصيات فجعلهنّ رسول الله (ص) فى قارورة، قالت أم سلمة: فلمّا كانت ليلة قتل الحسين سمعتُ قائلاً يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً ابشروا بالعذاب والتذليل

قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وحامل الإنجيل

قال: فبكت وفتحت القارورة فإذا الحصيات قد جرت دماً.

وأخرج ابن سعد عن الشعبى قال: مر على (ع) بكربلاء عند مسيره إلى صفّين وحاذى نينوى قرية على الفرات فوقف وسأل عن اسم هذه الأرض فقيل: كربلاء، فبكى حتى بلّ الأرض من دموعه، ثم قال: دخلتُ على رسول الله (ص) وهو يبكى، فقلت: ما يبكيك؟ قال: كان عندى جبريل آنفاً وأخبرنى إن ولدى الحسين يُقتل بشاطىء الفرات بموضع يقال له كربلاء، ثم قبض جبريل قبضة من تراب شمّنى إياه فلم أملك عينى أن فاضتا.

ورواه أحمد مختصراً عن على قال: دخلت على النبى (ص) الحديث.

وروى الملا ـ أنّ علياً مرّ بقبر الحسين فقال: هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمد يُقتلون بهذه العرصة تبكى عليهم السماء والأرض.

وأخرج أيضاً: أنه (ص) كان له مشربة درجتها فى حجرة عائشة يرقى إليها إذا أراد لقى جبريل، فرقى إليها وأمر عائشة أن لا يطلع عليها أحد، فرقى حسين ولم تعلم به، فقال جبريل: من هذا؟ قال: ابنى، فأخذه رسول الله (ص) فجعله على فخذه، فقال جبريل: ستقتله أمتك، فقال (ص): ابنى؟ قال: نعم، وإن شئت أخبرتك الأرض التى يُقتل فيها، فأشار جبريل بيده إلى الطفّ بالعراق فأخذ منها تربة حمراء، فأراه إياها وقال: هذه تربة مصرعه.

وأخرج الترمذى أن أم سلمة رأت النبى (ص) باكياً وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال: قتل الحسين آنفاً.

وكذلك رآه ابن عباس نصف النهار أشعثاً أغبراً بيده قارورة فيها دم يلتقطه، فسأله، فقال: دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل فى ذلك اليوم، فاستشهد الحسين كما قال له (ص) بكربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة، ويعرف الموضع أيضاً بالطف، قتله سنان بن أنس النخعى، وقيل غيره، يوم الجمعة عاشر المحرّم سنة إحدى وستين، وله ستّ وخمسون سنة وأشهر، ولما قتلوه بعثوا برأسه إلى يزيد فنزلوا أول مرحلة فجعلوا يشربون بالرأس، فبينما هم كذلك إذ خرجت عليهم من الحائط يدٌ معها قلم من حديد فكتبت سطراً بدم:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب؟

فهربوا وتركوا الرأس.

أخرجه منصور بن عماد، وذكر غيره: أن هذا البيت وجد بحجر قبل مبعثه (ص) بثلاثمائة، وأنه مكتوب فى كنيسة من أرض الروم لا يدرى من كتبه.

وذكر أبو نعيم الحافظ فى كتاب «دلائل النبوة» عن نصرة الأزدية أنها قالت: لما قُتِل الحسين بن علىّ أمطرت السماء دماً فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دماً.

وكذا روى فى أحاديث غير هذه، ومما ظهر يوم قتله من الآيات أيضاً أن السماء اسودت اسوداداً عظيماً حتى رؤيت النجوم نهاراً ولم يرفع حجر إلّا وُجِد تحته دمٌ عبيط(۲۱).

وأخرج عثمان بن أبى شيبة: أن السماء مكثت بعد قتله سبعة أيام ترى على الحيطان كأنها ملاحف معصفرة من شدّة حمرتها وضربت الكواكب بعضها بعضاً.

ونقل ابن الجوزى عن ابن سيرين: أن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام ثم ظهرت الحمرة فى السماء.

وقال أبو سعيد: ما رفع حجر من الدنيا إلّا وتحته دم عبيط ولقد مطرت السماء دماً بقى أثره فى الثياب مدة حتى تقطعت.

وأخرج الثعلبى وأبو نعيم ما مر من أنهم مطروا دماً، زاد أبو نعيم: فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دماً.

وفى رواية: أنه مطر كالدم على البيوت والجدار بخراسان والشام والكوفة، وأنه لما جىء برأس الحسين إلى دار زياد سالت حيطانها دماً.

وأخرج الثعلبى: أن السماء بكت وبكاؤها حمرتها، وقال غيره: احمرّت آفاق السماء ستّة أشهر بعد قتله، ثم لازالت الحمرة تُرى بعد ذلك.

وإن ابن سيرين قال: أخبرنا أن الحمرة التى مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين.

وذكر ابن سعد: أن هذه الحمرة لم ترَ فى السماء قبل قتله.

قال ابن الجوزى: وحكمته أن غضباً يؤثر حمرة الوجه والحق تنزه عن الجسيمة، فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأُفق إظهاراً لعظم الجناية، قال: وأنين عباس وهو مأسورٌ ببدر منع النبى (ص) النوم، فكيف بأنين الحسين؟ ولما أسلم وحشى قاتل حمزة قال له النبى (ص): غيّب وجهك عنى فإنى لا أحبّ أن أرى من قتل الأحبّة، قال: وهذا والإسلام يجبّ ما قبله، فكيف بقلبه (ص) أن يرى من ذبح الحسين وأمر بقتله وحمل أهله على أقتاب الجمال(۲۲).

وما مر من أنه لم ترفع حجر فى الشام أو الدنيا إلا رؤى تحته دم عبيط، وقع يوم قتل على أيضاً كما أشار إليه البيهقى بأنه حكى عن الزهرى أنه قدم الشام يريد الغزو، فدخل على عبد الملك فأخبره أنه يوم قتل على لم يرفع حجر من بيت المقدس إلا وجد تحته دم ثم قال له: من لم يعرف هذا غيرى وغيرك فلا تخبر به، قال: فما أخبرت به إلا بعد موته.

وحكى عنه أيضاً: أن غير عبد الملك أخبر بذلك أيضاً.

قال البيهقى: والذى صح عنه أن ذلك حين قتل الحسين، ولعله وجد عند قتلهما جميعاً، انتهى.

وأخرج أبو الشيخ: أن جمعاً تذاكروا أنه ما من أحد أعان على قتل الحسين إلا أصابه بلاء قبل أن يموت، فقال شيخ: أنا أعنت وما أصابنى شىء، فقام ليصلح السراج فأخذته النار، فجعل ينادى: النار النار وانغمس فى الفرات، ومع ذلك فلم يزل به حتى مات.

وأخرج منصور بن عمار: أن بعضهم ابتلى بالعطش، وكان يشرب راوية ولا يروى.

ونقل سبط ابن الجوزى عن السدّى: أنه أضافه رجل بكربلاء فتذاكروا أنه ما تشارك أحد فى دم الحسين إلا مات أقبح موتة، فكذّب المضيف بذلك وقال إنه ممن حضر، فقام آخر الليل يصلح السراج فوثبت النار فى جسده فأحرقته، قال السدى: فأنا رأيته والله كأنّ حممة.

وعن الزهرى: لم يبقَ ممن قتله إلا من عوقب فى الدنيا إما بقتل أو عمى أو سواد الوجه أو زوال الملك فى مدة يسيرة.

وحكى سبط ابن الجوزى عن الواقدى: أن شيخاً حضر قتله فقط فعمى، فسئل عن سببه، فقال: إنه رأى النبى (ص) حاسراً عن ذراعيه وبيده سيف وبين يديه نطع، ورأى عشرة من قاتلى الحسين مذبوحين بين يديه، ثم لعنه بتكثيره سوادهم ثم أكحله بمرود من دم الحسين فأصبح أعمى.

وأخرج أيضاً: أن شخصاً منهم علّق فى لبب فرسه رأس الحسين بن على فرؤى بعد أيام ووجهه أشدّ سواداً من القار، فقيل له: إنك كنت أنضر العرب وجهاً! فقال: ما مرّت علىّ ليلة حين حملتُ تلك الرأس إلا واثنان يأخذان بضبعى ثم ينتهيان بى إلى نار تأجج فيدفعانى فيها وأنا أنكص فتسفعنى كما ترى، ثم مات على أقبح حالة.

وأخرج أيضاً أن شيخاً رأى النبى (ص) فى النوم وبين يديه طشت فيها دم، والناس يعرضون عليه فيلطخهم حتى انتهيت إليه فقلت: ما حضرت، فقال لى: هويت! فأومأ إلىّ بإصبعه فأصبحت أعمى.

ومرّ أنّ أحمد روى: أن شخصاً قال: قتل الله الفاسق ابن الفاسق الحسين، فرماه الله بكوكبين فى عينيه فعمى.

وذكر البارزى عن المنصور: أنه رأى رجلاً بالشام وجهه وجه خنزير فسأله، فقال: أنه كان يلعن علياً كل يوم ألف مرة، وفى الجمعة أربعة آلاف مرة وأولاده معه، فرأيت النبى (ص) وذكر مناماً طويلاً من جملته: أن الحسن شكاه إليه فلعنه فصار موضع بصاقه خنزيراً وصار آية للناس.

وأخرج الملا عن أم سلمة: أنها سمعت نوح الجنّ على الحسين.

وابن سعد عنها: أنها بكت عليه حتى أغشى عليها.

وروى البخارى فى صحيحه والترمذى عن ابن عمر: أنه سأل رجل عن دم البعوض طاهر أو لا؟ فقال له: ممن أنت؟ قال: من أهل العراق، فقال: انظروا إلى هذا يسألنى عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبى (ص)، وقد سمعت النبى (ص) يقول: هما ريحانتاى من الدنيا.

وسبب مخرجه: أنّ يزيد لما استخلف سنة ستين أرسل لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة على الحسين، ففرّ لمكة خوفاً على نفسه فسمع به أهل الكوفة، فأرسلوا إليه أن يأتيهم ليبايعوه ويمحو عنهم ما هم فيه من الجور، فنهاه ابن عباس وبيّن له غدرهم وقتلهم لأبيه، وخذلانهم لأخيه، فأبى فنهاه أن لا يذهب بأهله فأبى، فبكى أبن عباس وقال: واحبيباه، وقال له ابن عمر نحو ذلك، فأبى، فبكى ابن عمر وقبّل ما بين عينيه وقال: أستودعك الله من قتيل، ونهاه ابن الزبير أيضاً فقال له: حدَّثنى أبى أن لمكة كبشاً به يستحلّ حرمتها، فما أُحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش.

ولما بلغ مسيره أخاه محمد بن الحنفية كان بين يديه طشت يتوضّأ فيه فبكى حتى ملأه من دموعه، ولم يبق بمكة إلا من حزن لمسيره، وقدّم أمامه مسلم بن عقيل فبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفاً، وقيل: أكثر من ذلك، وأمر يزيد ابنَ زياد فجاء إليه وقتله وأرسل برأسه إليه فشكره وحذره من الحسين، ورأى الحسين فى مسيره الفرزدق فقال له: بيّن لى خبر الناس، فقال: أجل على الخبير سقطت يا ابن رسول الله (ص)، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء.

وسار الحسين وهو غير عالم(۲۳) بما جرى لمسلم حتى كان على ثلاث من القادسية تلقاه بالخبر ابن يزيد التميمى فقال له: ارجع فما تركت لك خلفى خيراً ترجوه، وأخبره الخبر وقدوم ابن زياد واستعداده له فهمّ بالرجوع(۲۴)، فقال أخو مسلم: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل، فقال: لا خير فى الحياة بعدكم، ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل إلى كربلاء ثامن المحرم سنة إحدى وستين، وكان لما شارف الكوفة سمع به أميرها عبيد الله بن زياد فجهز إليه عشرين ألف مقاتل، فلمّا وصلوا إليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فأبى فقاتلوه، وكان أكثر الخارجين لقتاله كاتبوه وبايعوه، ثم لما جاءهم أخلفوه وفرّوا عنه إلى أعدائه إيثاراً للسحت العاجل على الخير الآجل، فحارب أولئك العدد الكثير ومعه من إخوته وأهله نيف وثمانون نفساً فثبت فى ذلك الموقف ثباتاً باهراً مع كثرة أعدائه وعددهم ووصول سهامهم ورماحهم إليه، ولما حمل عليهم وسيفه مصلت فى يده أنشد يقول:

أنا ابن علىّ الخير من آل هاشم كفانى بهذا فخراً حين أفخر

وجدّى رسول الله أكرم من مشى ونحن سراج الله فى الناس يزهر

وفاطمة أمى سلالة أحمد وعمّى يدعى ذا الجناحين جعفر

وفينا كتاب الله أُنزل صادقاً وفينا الهدى والوحى والخير يذكر

ولولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه، إذ هو الشجاع القرم الذى لا يزول ولا يتحوّل، ولمّا منعوه وأصحابه الماءَ ثلاثاً قال له بعضهم: انظر إليه كأنه كبد السماء لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً، فقال له الحسين: اللهمّ اقتله عطشاً فلم يروَ مع كثرة شربه للماء حتى مات عطشاً.

ودعا الحسين بماء ليشربه فحال رجل بينه وبينه بسهم ضربه فأصاب حنكه فقال: اللهمّ أظمئه، فصار يصيح. الحر فى بطنه والبرد فى ظهره، وبين يديه الثلج والمراوح وخلفه الكافور وهو يصيح العطش فيؤتى بسويق وماء ولبن لو شربه خمسة لكفاهم فيشربه ثم يصيح فيسقى كذلك إلى أن انقدّ بطنه. ولما استحر القتل بأهله فإنهم لازالوا يقتلون منهم واحداً بعد واحد حتى قتلوا ما يزيد على الخمسين صاح الحسين: أما ذابّ يذبّ عن حريم رسول الله (ص)، فحينئذ خرج حر بن يزيد بن الحرث الرياحى من عسكر أعدائه راكباً فرسه، وقال: يا ابن رسول الله لئن كنت أول من خرج عليك فإننى الآن من حزبك، لعلّى بذلك أنال شفاعة جدّك، ثم قاتل بين يديه حتى قتل، فلما فنى أصحابه وبقى بمفرده حمل عليهم وقتل كثيراً من شجعانهم، فحمل عليه جمع كثيرون منهم حالوا بينه وبين حريمه، فصاح كفّوا سفهاءكم عن الأطفال والنساء فكفوا، ثم لم يزل يقاتلهم إلى أن أثخنوه بالجراح وسقط إلى الأرض، فحزوا رأسه يوم عاشوراء عام أحد وستين ولمّا وضعت بين يدى عبيد الله بن زياد أنشد قاتله:

املأ ركابى فضة وذهبا فقد قتلت الملك المحجّبا

ومن يصلى القبلتين فى الصبا وخيرَهم إذ يذكرون النسبا

قتلت خير الناس أماً وأبا

فغضب ابن زياد من قوله وقال: إذا علمت ذلك فلم قتلته؟ والله لا نلت منى خيراً ولألحقنّك به ثم ضرب عنقه. وقتل معه من إخوته وبنى أخيه الحسن ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلاً، وقيل: أحد وعشرون.

قال الحسن البصرى: ما كان على وجه الأرض يومئذ لهم شبيه. ولما حملت رأسه لابن زياد جعله فى طشت وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويقول به فى أنفه، ويقول ما رأيت مثل هذا حسناً، إن كان لحسن الثغر. وكان عنده أنس، فبكى وقال: كان أشبههم برسول الله (ص)، رواه الترمذى وغيره.

وروى ابن أبى الدنيا أنه كان عنده زيد بن أرقم فقال له: ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول الله (ص) يقبّل ما بين هاتين الشفتين، ثم جعل زيد يبكى، فقال ابن زياد: أبكى الله عينيك لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك، فنهض وهو يقول: أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة وأمّرتُم ابن مرجانة، والله ليقتلنّ خياركم ويستعبدنّ شراركم، فبعداً لمن رضى بالذلّة والعار، ثم قال: يا

ابن زياد! لأحدّثنك بما هو أغيظ عليك من هذا: رأيت رسول الله (ص) أقعد حسناً على فخذه اليمنى وحُسَيناً على اليسرى ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال: اللهمّ إنى أستودعك إيّاهما وصالح المؤمنين، فكيف كانت وديعة النبى (ص) عندك يا ابن زياد؟

وقد انتقم الله من ابن زياد هذا، فقد صح عند الترمذى: أنه لما جيء برأسه ونصب فى المسجد مع رؤوس أصحابه جاءت حيّة فتخلّلت الرؤوس حتى دخلت فى منخره، فمكثت هنيهة ثم خرجت ثم جاءت ففعلت كذلك مرتين أو ثلاثاً وكان نصبها فى محل نصبه لرأس الحسين، وفاعل ذلك هو المختار بن أبى عبيد، تبعه طائفة من الشيعة ندموا على خذلانهم الحسين وأرادوا غسل العار عنهم، ففرقة منهم تبعت المختار، فملكوا الكوفة وقتلوا الستّة آلاف الذين قاتلوا الحسين أقبح قتلات، وقتل رئيسهم عمر بن سعد، وخصّ شمر قاتل الحسين على قول بمزيد نكال وأوطؤوا الخيل صدره وظهره، لأنه فعل ذلك بالحسين وشكر الناس للمختار ذلك.

ولما نزل ابن زياد الموصل فى ثلاثين ألفاً جهّز له المختار سنة تسع وستّين طائفة قتلوه هو وأصحابه على الفرات يوم عاشوراء، وبعث برؤوسهم للمختار فنصبت فى المحل الذى نصب فيه رأس الحسين، ثم حوّلت إلى ما مر حتى دخلتها تلك الحية.

ومن عجيب الاتفاق: قول عبد الملك بن عمير: دخلت قصر الإمارة بالكوفة على ابن زياد والناس عنده سماطان ورأس الحسين (ع) على ترس عن يمينه، ثم دخلت على المختار فيه فوجدتُ رأس ابن زياد وعنده الناس كذلك، ثم دخلتُ على مصعب بن الزبير فبه فوجدت رأس المختار عنده كذلك، ثم دخلت على عبد الملك بن مروان فوجدتُ رأس مصعب كذلك، فأخبرته بذلك فقال: لا أراك الله الخامس ثم أمر بهدمه.

ولما أنزل ابن زياد رأس الحسين وأصحابه جهّزها مع سبايا آل الحسين إلى يزيد، فلمّا وصلت إليه قيل أنه ترحّم عليه وتنكر لابن زياد وأرسل برأسه وبقية بنيه إلى المدينة.

وقال سبط ابن الجوزى وغيره: المشهور أنه جمع أهل الشام وجعل ينكت الرأس بالخيزران، وجُمع بأنه أظهر الأول وأخفى الثانى، بقرينة أنه بالغ فى رفعة ابن زياد حتى أدخله على نسائه.

قال ابن الجوزى: وليس العجب إلا من ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب(۲۵)، وحمل آل النبى (ص) على أقتاب الجمال أى موثقين فى الحبال والنساء مكشفات الرؤوس والوجوه وذكر أشياء من قبيح فعله.

وقيل: بل كانت الرأس فى خزانته(۲۶) لأن سليمان بن عبد الملك رأى النبى (ص) فى المنام يرطفه ويبشره، فسأل الحسن البصرى عن ذلك فقال: لعلّك صنعت إلى آله معروفاً؟ قال: نعم، وجدت رأس الحسين فى خزانة يزيد فكسوته خمسة أثواب وصلّيت عليه مع جماعة من أصحابى وقبرته، فقال له الحسن: هو ذلك سبب رضاه (ص) عليك، فأمر سليمان للحسن بجائزة سنيّة.

ولما فعل يزيد برأس الحسين ما مر كان عنده رسول قيصر فقال متعجباً: إنّ عندنا فى بعض الجزائر فى دير حافر حمار عيسى، فنحن نحجّ إليه كلّ عام من الأقطار وننذر النذور ونعظمه كما تعظّمون كعبتكم، فأشهد أنكم على باطل.

وقال ذمّى آخر: بينى وبين داود سبعون أباً، وإن اليهود تعظّمنى وتحترمنى وأنتم قتلتم ابن نبيّكم؟

ولما كانت الحرس على الرأس كلما نزلوا منزلاً وضعوه على رمح وحرسوه فرآه راهب فى دير فسأل عنه فعرفوه به فقال: بئس القوم أنتم هل لكم فى عشرة آلاف دينار ويبيت الرأس عندى هذه الليلة؟ قالوا: نعم، فأخذه وغسله وطيّبه ووضعه على فخذه، وقعد يبكى إلى الصبح ثم أسلم، لأنه رأى نوراً ساطعاً من الرأس إلى السماء، ثم خرج عن الدير وما فيه وصار يخدم أهل البيت، وكان مع أولئك الحرس دنانير أخذوها من عسكر الحسين ففتحوا أكياسها ليقتسموها فرأوها خزفاً وعلى أحد جانبى كل منها: (ولا تحسبنّ الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون)(۲۷)، وعلى الآخر: (وسيعلم الذين ظَلموا أىّ منقلب ينقلبون)(۲۸).

وسيق حريم الحسين إلى الكوفة كالأُسارى، فبكى أهل الكوفة، فجعل زين العابدين بن الحسين يقول: ألا إنّ هؤلاء يبكون من أجلنا فمن ذا الذى قتلنا؟

وأخرج الحاكم من طرق متعددة أنه (ص) قال: قال جبريل: قال الله تعالى: إنى قتلت بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإنى قاتل بدم

الحسين سبعين ألفاً وقتل هذه العدة بسببه لا يستلزم أنّها كعدد عدة المقاتلين له، فإن فتنته أفضت إلى تعصبات ومقاتلات تفى بذلك.

فى الأئمة التسعة من ولد الحسين (ع)

وزين العابدين: هذا هو الذى خلف أباه علماً وزهداً وعبادة وكان إذا توضأ للصلاة اصفر لونه، فقيل له فى ذلك فقال: ألا تدرون بين يدى من أقف. وحكى أنه كان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة.

وحكى ابن حمدون عن الزهرى أن عبد الملك حمله مقيداً من المدينة بأثقلة من حديد ووكّل به حفظة، فدخل عليه الزهرى لوداعه فبكى وقال: وددت أنى مكانك، فقال: أتظن أن ذلك يكربنى، لو شئت لما كان؟ وإنه ليذكرنى عذاب الله، ثمّ أخرج رجليه من القيد ويديه الغل ثمّ قال: لا جزت معهم على هذا يومين من المدينة، فما مضى يومان إلا وفقدوه حين طلع الفجر وهم يرصدونه، فطلبوه فلم يجدوه.

قال الزهرى: فقدمت على عبد الملك، فسألنى عنه، فأخبرته، فقال: قد جاء فى يوم فقده الأعوان فدخل علىّ فقال: ما أنا وأنت، فقلت: أقم عندى، فقال: لا أحب، ثمّ خرج، فوالله لقد امتلأ قلبى منه خيفة، أى ومن ثمّ كتب عبد الملك إلى الحجاج أن يجتنب دماء عبد المطلب، وأمره بكتم ذلك فكوشف به زين العابدين، فكتب إليه إنك كتبت للحجاج يوم كذا سراً فى حقنا بنى عبد المطلب بكذا وكذا، وقد شكر الله لك ذلك، وأرسل به إليه، فلما وقف عليه وجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه للحجاج، ووجد مخرج الغلام موافقاً لمخرج رسوله للحجاج، فعلم أن زين العابدين كوشف بأمره(۲۹) فسرّ به وأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وكسوة وسأله أن لا يخليه مع صالح دعائه.

وأخرج أبو نعيم والسلفى: لما حج هشام بن عبد الملك فى حياة أبيه أو الوليد لم يمكنه أن يصل للحجر من الزحام فنصب له منبر إلى جانب زمزم وجلس ينظر إلى الناس وحوله جماعة من أعيان أهل الشام، فبينا هو كذلك إذ أقبل زين العابدين، فلما انتهى إلى الحجر تنحّى له الناس حتّى استلم، فقال أهل الشام لهشام: من هذا؟ قال: لا أعرفه، مخافة أن يرغب أهل الشام فى زين العابدين، فقال الفرزدق: أنا أعرفه ثم أنشد:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلّهم هذا التقىّ النقىّ الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

ينمى إلى ذروة العز التى قصرت عن نيلها عرب الإسلام والعجم

القصيدة المشهورة ومنها:

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجدّه أنبياء الله قد ختموا

فليس قولك: مَن هذا؟ بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم

ثم قال:

من معشر حبّهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم

لا يستطيع جواد بُعد غايتهم ولا يُدانيهم قوم وإن كرموا

فلمّا سمعها هشام غضب، وحبس الفرزدق بعُسفان، وأمر له زين العابدين بإثنى عشر ألف درهم، وقال: أعذر لو كان عندنا أكثر لوصلناك به، فقال: إنما امتدحته لله لا لعطاء، فقال زين العابدين: إنّا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده، فقبلها الفرزدق ثم هجا هشاماً فى الحبس، فبعث فأخرجه.

وكان زين العابدين عظيم التجاوز والعفو والصفح حتى إنه سبّه رجل فتغافل عنه، فقال: له: إياك أعنى! فقال: وعنك أعرض، أشار

إلى آية: (خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين)(۳۰).

توفّى وعمره سبع وخمسون، منها سنتان مع جدّه علىّ، ثم عشرة مع عمّه الحسن، ثم إحدى عشرة سنة مع أبيه الحسين، وقيل: سمّه الوليد بن عبد الملك(۳۱)، ودُفن بالبقيع عند عمه الحسن، عن أحد عشر ذكراً وأربع إناث.

وإرثه منهم عبادة وعلماً وزهادة.

أبو جعفر محمد الباقر:

سمّى بذلك: من بقر الأرض أى شقّها وأثار مخبآتها ومكامنها، فلذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلّا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة، ومن ثَمّ قيل فيه: هو باقر العلم وجامعه، وشاهر علمه ورافعه، صفا قلبه، وزكا علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة الله، وله من الرسوم فى مقامات العارفين ما تكل عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة فى السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة.

وكفاه شرفاً: أن ابن المدينى روى عن جابر أنه قال له وهو صغير: رسول الله (ص) يسلّم عليك، فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: كنتُ جالساً عنده والحسين فى حجره وهو يداعبه، فقال: يا جابر يولد له مولود اسمه علىّ إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم سيّد العابدين فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمّد فإن أدركته يا جابر فأقرئه منى السلام.

توفّى سنة سبع عشرة عن ثمان وخمسين سنة مسموماً كأبيه.

وهو علوىّ من جهة أبيه وأمه، ودفن أيضاً فى قبة الحسن والعباس بالبقيع، وخلّف ستة أولاد أفضلهم وأكملهم:

جعفر الصادق:

ومن ثّم كان خليفته ووصيه، ونقل الناس عنه العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته فى جميع البلدان.

وروى عنه الأئمة الأكابر: كيحيى ابن سعيد وابن جريح ومالك والسفيانين وأبى حنيفة وشعبة وأيوب السختيانى.

وأمه: فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر كما مرّ.

وسعى به عند المنصور لما حج فلما حضر الساعى به يشهد قال له: أتحلف؟ قال: نعم! فحلف بالله العظيم إلى آخره، فقال: احلفه يا أمير المؤمنين بما أراه؟ فقال له: حلّفه، فقال له: قل برئت من حول الله وقوّته والتجأتُ إلى حولى وقوّتى لقد فعل جعفر كذا وكذا، وقال: كذا وكذا، فامتنع الرجل ثم حلف، فما تمّ حتى مات مكانه، فقال أمير المؤمنين لجعفر: لا بأس عليك أنت المبرأ الساحة المأمون الغائلة، ثم انصرف فلحقه الربيع بجائزة حسنة وكسوة سنيّة وللحكاية تتمّة.

ووقع نظير هذه الحكاية ليحيى بن عبد الله بن المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بأن شخصاً زبيرياً سعى به للرشيد فطلب تحليفه فتلعثم فزبره الرشيد فتولى يحيى تحليفه بذلك فما أتم يمينه حتى اضطرب وسقط لجنبه فأخذوا برجله وهلك، فسأل الرشيد يحيى عن سر ذلك، فقال: تمجيد الله فى اليمين يمنع المعاجلة فى العقوبة.

وذكر المسعودى: أنّ هذه القصة كانت مع أخى يحيى هذا الملقّب بموسى الجون وأن الزبيرى سعى به للرشيد فطال الكلام بينهما ثم طلب موسى تحليفه فحلفه بنحو ما مرّ، فلمّا حلف قال موسى: الله أكبر حدّثنى أبى عن جدّى عن أبيه عن جدّه على أن النبى (ص) قال: ما حلف أحد بهذه اليمين، أى وهى تقلّدت الحول والقوة دون حول الله وقوّته إلى حولى وقوتى ما فعلت كذا وهو كاذب، إلّا عجّل الله له العقوبة قبل ثلاث، والله ما كذبت ولا كذبت، فوكل علىَّ يا أمير المؤمنين فإن مضت ثلاث ولم يحدث بالزبيرى حادث فدمى لك حلال، فوكل به، فلم يمضِ عصر ذلك اليوم حتى أصاب الزبيرى جذام فتورم حتى صار كالزق، فما مضى إلّا قليل وقد توفّى، ولا أُنزل فى قبره انخسف قبره وخرجت رائحة مفرطة النتن، فطرحت فيه أحمال الشوك فانخسف ثانياً، فأخبر الرشيد بذلك فزاد تعجّبه، ثم أمر لموسى بألف دينار، وسأله عن سر تلك اليمين، فروى له حديثاً عن جده على عن النبى (ص): ما من أحد يحلف بيمين مجد الله فيها إلا استحيا من عقوبته، وما من أحد حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوّته إلّا عجّل الله له العقوبة قبل ثلاث.

وقتل بعض الطغاة مولاه فلم يزل ليلة يصلى ثم دعا عليه عند السحر فسمعت الأصوات بموته، ولما بلغه قول الحكم بن عباس الكلبى فى عمه زيد:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نرَ مهدياً على الجذع يصلب

قال: اللهمّ سلّط عليه كلباً من كلابك فافترسه كالأسد.

ومن مكاشفاته:

أن ابن عمه عبد الله المحض كان شيخ بنى هاشم وهو والد محمد الملقّب بالنفس الزكيّة، ففى آخر دولة بنى أمية وضعفهم أراد بنو هاشم مبايعة محمد وأخيه، وأرسل لجعفر ليبايعهما فامتنع، فاتهم أنه يحسدهما فقال: والله ليست لى ولا لهما إنها لصاحب القباء الأصفر(۳۲) ليلعبن بها صبيانهم وغلمانهم، وكان المنصور العباسى يومئذ حاضراً وعليه قباء أصفر(فما زالت كلمة جعفر تعمل فيه حتى نالها وسبق جعفر إلى ذلك والده الباقر، فإنه أخبر المنصور بملك الأرض شرقها وغربها وطول مدّته، فقال له: وملكنا قبل ملككم، قال: نعم، قال: ويملك أحد من ولدى؟ قال: نعم، قال: فمدّة بنى أمية أطول أم مدّتنا؟ قال: مدّتكم وليلعبنّ بهذا الملك صبيانكم كما يلعب بالأكرة، هذا ما عهد إلىّ أبى، فلما أفضت الخلافة للمنصور بملك الأرض تعجّب من قول الباقر(۳۳).

وأخرج أبو القاسم الطبرى من طريق ابن وهب قال: سمعت الليث بن سعد يقول: حججتُ سنة ثلاث عشرة ومائة ولما صلّيت العصر فى المسجد رقيت أبا قبيس فإذا رجل جالس يدعو فقال: يا رب، حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا حى يا حى يا حى حتى انقطع نفسه، ثم قال: إلهى إنى أشتهى العنب فأطعمنيه، اللهمّ وإن بردای قد خلقا فاكسنى، قال الليث: فوالله ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنباً وليس على الأرض يومئذ عنب، وإذا بردان موضوعان لم أرَ مثلهما فى الدنيا، فأراد أن يأكل، فقلت: أنا شريكك، فقال: ولم؟ فقلت: لأنك دعوتَ وكنتُ أؤمن! فقال: تقدّم وكل، فتقدّمت وأكلتُ عنباً لم آكل مثله قط، ما كان له عجم، فأكلنا حتى شبعنا ولم تتغير السلّة، فقال: لا تدخر ولا تخبئ منه شيئاً، ثم أخذ أحد البردين ودفع إلىّ بالآخر، فقلت: أنا بى غنى عنه فائتزر بأحدهما وارتدى الآخر، ثم أخذ برديه الخلقين فنزلوهما بيده، فلقيه رجل بالمسعى فقال: اكسنى يا رسول الله مما كساك الله فإننى عريان، فدفعهما إليه، فقلت: من هذا؟ قال: جعفر الصادق، فطلبته بعد ذلك لأسمع منه شيئاً فلم أقدر عليه، انتهى.

توفّى سنة أربع وثمانين ومائة مسموماً أيضاً على ما حكى، وعمره ثمان وستون سنة، ودفن بالقبة السابقة عند أهله عن ستة ذكور وبنت.

منهم: موسى الكاظم:

وهو وارثه علماً ومعرفةً وكمالاً وفضلاً، سمى الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم، وسأله الرشيد كيف قلتم: إنّا ذريّة رسول الله (ص) وأنتم أبناء على؟ فتلا: (ومن ذريّته داود وسليمان)(۳۴)، إلى أن قال: (وعيسى)(۳۵)، وليس له أب، وأيضاً قال تعالى: (فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم)(۳۶) الآية.

ولم يدع النبى (ص) عند مباهلته النصارى غير على وفاطمة والحسن والحسين فكان الحسن والحسين هما الأبناء.

ومن بديع كراماته: ما حكاه ابن الجوزى والرامهرمزى وغيرهما عن شقيق البلخى: أنه خرج حاجاً سنة تسع وأربعين ومائة فرآه بالقادسية منفرداً عن الناس، فقال فى نفسه: هذا فتى من الصوفية يريد أن يكون كلاًّ على الناس، لأمضينّ إليه ولأوبّخنّه، فمضى إليه، فقال: يا شقيق(اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنّ بعض الظنّ إثم)(۳۷)، الآية، فأراد أن يحاللِه فغاب عن عينيه فما رآه إلا بواقصة يصلى وأعضاؤه تضطرب ودموعه تتحادر فجاء إليه ليعتذر فخفف فى صلاته وقال: (وإنّى لغفّار لمن تاب وآمن)(۳۸)، الآية، فلما نزلوا زمالة رآه على بئر فسقطت ركوته فيها فدعا فطغى الماء له حتى أخذها فتوضأ وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كثيب رمل فطرح منه فيها وشرب، فقال له: أطعمنى من فضلك ما رزقك الله تعالى، فقال: يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنّك بربّك،

فناولنيها فشربت منها، فإذا سويق وسكر ما شربت والله ألذّ منه ولا أطيب ريحاً فشبعت ورويت، وأقمت أياماً لا أشتهى شراباً ولا طعاماً، ثم لم أره إلا بمكة وهو بغلمان وغاشية وأمور على خلاف ما كان عليه بالطريق.

ولما حج الرشيد سعى به إليه وقيل له: إن الأموال تحمل إليه من كل جانب حتى اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار، فقبض عليه وأنفذه لأميره بالبصرة عيسى بن جعفر بن المنصور فحبسه سنة، ثم كتب له الرشيد فى دمه، فاستعفى وأخبره أنه لم يدع على الرشيد وأنه إن لم يرسل بتسليمه وإلا خلى سبيله، فبلغ الرشيد كتابه فكتب للسندى بن شاهك بتسليمه وأمره فيه بأمر، فجعل له سماً فى طعامه، وقيل: فى رطب، فتوعك ومات بعد ثلاثة أيام، وعمره خمس وستون سنة.

وذكر المسعودى: أن الرشيد رأى علياً فى النوم معه حربة وهو يقول: إن لم تخل عن الكاظم وإلا نحرتك بهذه، فاستيقظ فزعاً وأرسل فى الحال والى شرطته بإطلاقه وثلاثين ألف درهم وأنه يخيره بين المقام فيكرمه، أو الذهاب إلى المدينة، ولما ذهب إليه قال: رأيت منك عجباً، فأخبره أنه رأى النبى (ص) وعلّمه كلمات قالها فما فرغ منها إلا وأُطلق، قيل: وكان موسى الهادى حبسه أولاً ثم أطلقه لأنه رأى علياً يقول: (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم)(۳۹) فانتبه وعرف أنه المراد فأطلقه ليلاً، فقال له الرشيد حين رآه جالساً عند الكعبة: انت الذى تبايعك الناس سراً؟ فقال: أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم.

ولما اجتمعا أمام الوجه الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام قال الرشيد: السلام عليك يا ابن عم، سمعها من حوله، فقال الكاظم: السلام عليك يا أبتِ، فلم يحتملها وكانت سبباً لإمساكه له وحمله معه إلى بغداد، وحبسه فلم يخرج من حبسه إلا ميتاً(۴۰) مقيداً ودفن جانب بغداد الغربى.

وكانت أولاده حين وفاته سبعة وثلاثين ذكراً وأنثى: منهم:

على الرضا:

وهو أنبههم ذكراً وأجلّهم قدراً، ومن ثمّ أحله المأمون محل مهجته وأنكحه ابنته وأشركه فى مملكته وفوّض إليه أمر خلافته(۴۱)، فإنه كتب بيده كتاباً سنة إحدى ومائتين بأن علياً الرضا ولىّ عهده وأشهد عليه جمعاً كثيرين، لكنه توفى قبله فأسف عليه كثيراً(۴۲)، وأخبر قبل موته بأنه يأكل عنباً ورماناً مبثوثاً ويموت، وأن المأمون يريد دفنه خلف الرشيد فلم يستطع فكان ذلك كله كما أخبرته.

ومن مواليه: معروف الكرخى أستاذ السرىّ والسَقطى لأنه أسلم على يديه وقال الرجل: يا عبد الله ارض بما يريد واستعدّ لما لا بدّ منه، فمات الرجل بعد ثلاثة أيام.

رواه الحاكم.

روى الحاكم عن محمد بن عيسى عن أبى حبيب قال: رأيت النبى (ص) فى المنام فى المنزل الذى ينزل الحجاج ببلدنا، فسلّمت عليه فوجدت عنده طبقاً من خوص المدينة فيه تمر صَيْحانى فناولنى منه ثمانى عشرة، فتأوّلت أن أعيش عدّتها، فلمّا كان بعد عشرين يوماً قدم أبو الحسن علىّ الرضا من المدينة ونزل ذلك المسجد وهرع الناس بالسلام عليه فمضيت نحوه فإذا هو جالس فى الموضع الذى رأيت النبى (ص) جالساً فيه وبين يديه طبق من خوص المدينة فيه تمر صيحانى، فسلّمت عليه فاستدنانى وناولنى قبضة من ذلك التمر فإذا عدتها بعدد ما ناولنى النبى (ص) فى النوم، فقلت: زدنى، فقال: لو زادك رسول الله (ص) لزدناك.

ولمّا دخل نيسابور كما فى تاريخها وشقّ سوقها وعليه مظلة لا يُرى من ورائها تعرض له الحافظان أبو زرعة الرازى ومحمد بن أسلم الطوسى ومعهما من طلبة العلم والحديث ما لا يحصى، فتضرعا إليه أن يريَهم وجهه ويروى لهم حديثاً عن آبائه، فاستوقف البغلة وأمر غلمانه بكف المظلة، وأقر عيون تلك الخلائق برؤية طلعته المباركة فكانت له ذؤابتان مدليتان على عاتقه، والناس بين صارخ وباك ومتمرغ فى التراب ومقبل لحافر بغلته، فصاحت العلماء: معاشر الناس أنصتوا، فأنصتوا واستلم منه الحافظان المذكوران فقال: حدثنى أبى موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه الحسين، عن أبيه على بن أبى طالب قال: حدّثنى حبيبى وقرّة عينى رسول الله (ص) قال: حدّثنى جبريل قال: سمعت ربّ العزّة يقول(۴۳): لا إله إلا الله حصنى فمن قالها

دخل حصنى ومن دخل حصنى أمِن مِنْ عذابى، ثم أرخى الستر وسار، فعُدّ أهل المحابر والدوى الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً.

وفى رواية: أن الحديث المروى: الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان. ولعلهما واقعتان.

قال أحمد: لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرىء من جنّته.

ونقل بعض الحفّاظ: أنّ امرأة زعمت أنها شريفة بحضرة المتوكل، فسأل عمن يخبره بذلك، فدل على علىّ الرضا فجاء فأجلسه معه على السرير وسأله فقال: إن الله حرّم لحم أولاد الحسنين على السباع فلتلق للسباع، فعرض عليها بذلك فاعترفت بكذبها، ثم قيل للمتوكل: ألا تجرّب ذلك فيه، فأمر بثلاثة من السباع فجىء بها فى صحن قصره، ثم دعاه فلما دخل بابه أغلق عليه والسباع قد أصمت الأسماع من زئيرها، فلما مشى فى الصحن يريد الدرجة مشت إليه وقد سكنت وتمسحت به ودارت حوله وهو يمسحها بكمه، ثم ربضت فصعد للمتوكل وتحدّث معه ساعة ثم نزل ففعلت معه كفعلها الأول حتى خرج، فأتبعه المتوكل بجائزة عظيمة، فقيل للمتوكل: افعل كما فعل ابن عمك، فلم يجسر عليه وقال: أتريدون قتلى؟ ثم أمرهم أن لا يفشوا ذلك.

ونقل المسعودى: أن صاحب هذه القصة هو ابن ابن على الرضا، هو: العسكرى وصوب، لأن الرضا توفى فى خلافة المأمون اتفاقاً ولم يدرك المتوكل(۴۴).

وتوفى وعمره: خمس وخمسون سنة عن خمسة ذكور وبنت.

أجلّهم:

محمد الجواد:

لكنه لم تطل حياته.

ومما اتفق أنه بعد موت أبيه بسنة كان واقفاً والصبيان يلعبون فى أزقة بغداد إذ مر المأمون ففروا ووقف محمد وعمره تسع سنين، فألقى الله محبّته فى قلبه فقال له: يا غلام ما منعك من الانصراف؟ فقال له مسرعاً: لم يكن بالطريق ضيق فأوسعه لك، وليس لى جرم فأخشاك، والظن بك حسن لأنك لا تضر من لا ذنب له، فأعجبه كلامه وحسن صورته فقال له:

ما اسمك واسم أبيك؟ فقال: محمد بن على الرضا، فترحّم على أبيه وساق جواده، وكان معه بُزاة للصيد، فلما بعد عن العمار أرسل بازاً على دراجة فغاب عنه ثم عاد من الجو فى منقاره سمكة صغيرة وبها بقاء الحياة فتعجّب من ذلك غاية العجب، ورأى الصبيان على حالهم ومحمد عندهم ففروا إلا محمداً فدنا منه وقال له: ما فى يدى؟ فقال: إن الله تعالى خلق فى بحر قدرته سمكاً صغاراً يصيدها بازات الملوك والخلفاء فيختبر بها سلالة أهل بيت المصطفى، فقال له: أنت ابن الرضا حقاً، وأخذه معه وأحسن إليه وبالغ فى إكرامه، فلم يزل مشفقاً به لما ظهر له بعد ذلك من فضله وعلمه وكمال عظمته وظهور برهانه مع صغر سنه، وعزم على تزويجه بابنته أم الفضل وصمم على ذلك، فمنعه العباسيون من ذلك خوفاً من أنه يعهد إليه كما عهد إلى أبيه، فلما ذكر لهم أنه إنما اختاره لتميّزه على كافة أهل الفضل علماً ومعرفة وحلماً مع صغر سنه فنازعوا فى اتصاف محمد بذلك، ثم تواعدوا على أن يرسلوا إليه من يختبره.

فأرسلوا إليه يحيى بن أكثم ووعدوه بشىء كثير إن قطع لهم محمداً، فحضروا للخليفة ومعهم ابن أكثم وخواص الدولة، فأمر المأمون بفرش حسن لمحمد، فجلس عليه، فسأله يحيى مسائل أجابه عنها بأحسن جواب وأوضحه.

فقال له الخليفة: أحسنت أبا جعفر، فإن أردت أن تسأل يحيى ولو مسألة واحدة.

فقال له: ما تقول فى رجل نظر إلى امرأة أول النهار حراماً، ثم حلت له عند ارتفاعه، ثم حرمت عليه عند الظهر، ثم حلت له عند العصر، ثم حرمت عليه عند المغرب، ثم حلت له العشاء، ثم حرمت عليه نصف الليل، ثم حلت له الفجر؟

فقال يحيى: لا أدرى.

فقال محمد: هى أمة نظرها أجنبى بشهوة وهى حرام، ثم اشتراها بارتفاع النهار، فأعتقها الظهر، وتزوجها العصر، فظاهر منها المغرب،

وكفّر العشاء، وطلقها رجعاً نصف الليل، وراجعها الفجر.

فعند ذلك قال المأمون للعباسيين: قد عرفتم ما كنتم تنكرون، ثم زوجه فى ذلك المجلس ابنته أم الفضل، ثم توجه بها إلى المدينة، فأرسلت تشتكى منه لأبيها إنه تسرّى عليها، فأرسل إليها أبوها إنا لم نزوجك له لنحرم عليه حلالاً فلا تعودى لمثله.

ثم قدم بها يطلب من المعتصم لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين، وتوفى فيها فى آخر ذى القعدة ودفن فى مقابر قريش فى ظهر جده الكاظم، وعمره خمس وعشرون سنة، ويقال: أنه سم أيضا (۴۵) عن ذكرين وبنتين، أجلّهم:

على العسكرى (الهادى)

سمى بذلك لأنه لما وجه لإشخاصه من المدينة النبوية إلى سر من رأى وأسكنه بها وكانت تسمى العسكر فعرف بالعسكرى، وكان وارث أبيه علماً وسخاء.

ومن ثَمَّ جاءه أعرابى من أعراب الكوفة وقال: إنى من المتمسكين بولاء جدِّك، وقد ركبنى دَيْن أثقلنى حمله ولم أقصد لقضائه سواك، فقال: كم دَينك؟ فقال: عشرة آلاف درهم، فقال: طب نفساً بقضائه إن شاء الله تعالى، ثم كتب له ورقة فيها ذلك المبلغ ديناً عليه، وقال له: ائتنى به فى المجلس العام وطالبنى بها وأغلظ على فى الطلب، ففعل، فاستمهله ثلاثة أيام، فبلغ ذلك المتوكل فأمر له بثلاثين ألفاً، فلما وصلته أعطاها الأعرابى، فقال: يا ابن رسول الله إن العشرة آلاف أقضى بها أربى، فأبى أن يسترد منه من الثلاثين شيئاً، فولَّى الأعرابى وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته(۴۶).

ومر: إن الصواب فى قضية السباع الواقعة من المتوكل أنه هو الممتحن بها وإنها لم تقربه بل خضعت واطمأنت لما رأته، ويوافقه ما حكاه المسعودى وغيره أن يحيى بن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط لما هرب إلى الديلم ثم أتى به الرشيد وأمر بقتله أُلقى فى بركة فيها سباع قد جوعت فأمسكت عن أكله ولاذت بجانبه، وهابت الدنو منه فبنى عليه ركن بالجص والحجر وهو حى.

توفى بسر من رأى فى جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين، ودفن بداره، وعمره أربعون وكان المتوكل أشخصه من المدينة إليها سنة ثلاث وأربعين فأقام إلى أن قضى(۴۷) عن أربعة ذكور وأنثى، أجلهم:

أبو محمد الحسن الخالص:

وجعل ابن خلكان هذا هو العسكرى(۴۸) ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، ووقع لبهلول معه: أنه رآه وهو صبى يبكى والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما فى أيديهم فقال: أشترى لك ما تلعب به؟ فقال: يا قليل العقل ما للعب خُلِقنا، فقال له: فلماذا خلقنا؟ قال: للعلم والعبادة، فقال له: من أين لك ذلك؟ قال: من قول الله عز وجل: (أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وإنكم إلينا لا ترجعون)(۴۹).

ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبيات، ثم خرَّ الحسن مغشياً عليه فلما أفاق قال له: ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك؟ فقال: إليك عنى يا بهلول إنى رأيت والدتى توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلا بالصغار أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم.

ولما حبس قحط الناس بسر من رأى قحطاً شديداً فأمر الخليفة المعتمد ابن المتوكل بالخروج للإستسقاء ثلاثة أيام فلم يسقوا فخرج النصارى ومعهم راهب كلما مد يده إلى السماء هطلت.

ثم فى اليوم الثانى كذلك فشك بعض الجهلة وارتد بعضهم فشق ذلك على الخليفة فأمر بإحضار الحسن الخالص، وقال له: أدرك أُمَّة جدك رسول الله (ص) قبل أن يهلكوا، فقال الحسن: يخرجون غداً وأنا أزيل الشك إن شاء الله.

وكلّم الخليفة فى إطلاق أصحابه من السجن فأطلقهم، فلما خرج الناس للإستسقاء ورفع الراهب يده مع النصارى غيمت السماء، فأمر الحسن بالقبض على يده فإذا فيها عظم آدمى، فأخذه من يده وقال: استسق، فرفع يده فنزاك الغيم وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك، فقال الخليفة للحسن: ما هذا يا أبا محمد؟ فقال: هذا عظم نبى ظفر به هذا الراهب من بعض القبور،وما كشف من عظم نبى تحت السماء إلا هطلت بالمطر، فامتحنوا ذلك العظم فكان كما قال وزالت الشبهة عن الناس ورجع الحسن إلى داره، فأقام عزيزاً

مكرماً وصلات الخليفة تصل إليه كل وقت إلى أن مات (۵۰)، بسر من رأى ودفن عند أبيه وعمه، وعمره ثمانية وعشرون سنة، ويقال: إنه سمَّ أيضاً، ولم يخلف غير ولده:

أبى القاسم محمد الحجة:

وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن أتاه الله فيها الحكمة ويسمى القائم المنتظر(۵۱).

وصية النبى (ص) بهم (ع)

قال (ص): ألا إن عيبتى التى اوى إليها أهل بيتى وإن كرشى الأنصار فاعفوا عن مسيئهم(۵۲) واقبلوا من محسنهم، حديث حسن.

وفى رواية: ألا أن عيبتى وكرشى أهل بيتى والأنصار فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم(۵۳) أى انهم جماعتى واصحابى الذى أثق بهم وأطلعهم على اسرارى واعتمد عليهم، وكرشى باطنى وعيبتى ظاهرى وجمالى، وهذا غاية فى التعطّف عليهم والوصية بهم، ومعنى وتجاوزوا عن مسيئهم: أقيلوهم عثراتهم، فهو كحديث أقيلوا ذوى الهيآت.

وجاء: أن ابن عباس فسرها بما فسر به ابن جبير ورفع ذلك إلى النبى (ص) فقال: قالوا يا رسول الله عند نزول الآية من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: على وفاطمة وابناهما.

وفى طريق ضعيف أيضاً، لكن لها شاهد مختصر صحيح أن سبب نزول الآية افتخار الأنصار بآثارهم الحميدة فى الإسلام على قريش فأتاهم (ص) فى مجالسهم فقال: ألم تكونوا أذلّة فأعزّكم الله بى؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ألا تقولون: ألم يخرجك قومك فآويناك؟ أو لم يكذبوك فصدقناك؟ أو لم يخذلوك فنصرناك؟ فما زال يقول لهم حتى جثوا على الركب وقالوا: أموالنا وما فى ايدينا لله ولرسوله، فنزلت الآية.

وفى طريق ضعيف أيضاً: أن سبب نزولها انه (ص) لما قدم المدينة كانت تنوبه نوائب وليس فى يده شىء فجمع له الأنصار مالاً، فقالوا: يا رسول الله إنك ابن اختنا، وقد هدانا الله بك وتنوبك نوائب وحقوق وليس معك سعة فجمعنا لك من أموالنا ما تستعين به عليها، فنزلت.

وكونه ابن اختهم جاء فى الرواية الصحيحة، لأن أم عبد المطلب من بنى النجار منهم.

وفى حديث سنده حسن: ألا إن لكل نبى تركة ووضيعة، وأن تركتى ووضيعتى الأنصار فاحفظونى فيهم.

ويؤيّد ما مر من تفسير ابن جبير أن الآية فى الآل، ما جاء عن علىّ كرم الله وجهه، قال: نزلت فينا فى الرحم آية لا يحفظ مودّتنا إلّا كل مؤمن، ثم قرأ الآية.

وجاء ذلك عن زين العابدين أيضاً، فانه لما قتل ابوه الحسين كرم الله وجهه جىء به اسيراً فاقيم على درج دمشق، فقال رجل من أهل الشام: الحمد لله الذى قتلكم واستاصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال له زين العابدين: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، فبيّن له: أن الآية فيهم وانهم القربى فيها، فقال: وإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم. أخرجه الطبرانى.

وأخرج الدولابى: أن الحسن كرم الله وجهه قال فى خطبته: إنّا من أهل البيت الذين افترض الله مودّتهم على كل مسلم، فقال لنبيّنا (ص): (قل لا أسألكم عليه اجراً إلا المودّة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً)(۵۴) واقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت.

وأورد المحب الطبرى: انه (ص) قال: إن الله جعل أجرى عليكم المودّة فى أهل بيتى، وانى سائلكم غداً عنهم.

وقد جاءت الوصية الصريحة بهم فى عدة أحاديث، منها حديث: إنى تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدى: الثقلين احداهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى ولن يتفرّقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلّفونى فيهما(۵۵) وأخرجه آخرون.

وفى صحيح مسلم وغيره فى خطبته قرب رابع مرجعه من حجة الوداع قبل وفاته بنحو شهر: إنى تارك فيكم اولهما كتاب الله فيه

الهدى والنور، ثم قال: وأهل بيتى، اذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثاً، فقيل لزيد بن ارقم راويه: من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة بعده، قيل: ومن هم؟ قال: هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضى الله عنهم، قيل: كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة؟ قال: نعم(۵۶).

وفى رواية صحيحة: كأنّى قد دعيت فأجبت، إنى قد تركت فيكم الثقلين، احدهما اكبر من الآخر: كتاب الله عزّ وجلّ وعترتى: أى بالمثناة فانظروا كيف تخلفونى فيهما فإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض.

وفى رواية: وانهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض سألت ربّى ذلك لهما فلا تتقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابيا(۵۷) لا حاجة لنا ببسطها.

وفى رواية: آخر ما تكلّم به النبى (ص): أخلفونى فى أهلى وسماهما ثقلين إعظاماً لقدرهما، إذ يقال لكل خطير شريف: ثقلاً، أو لأن العمل بما أوجب الله من حقوقهما ثقيل جداً، ومنه قوله تعالى: (إنّا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً)(۵۸) أى له وزن وقدر، لأنه لا يؤدى إلا بتكليف ما يثقل وسمى الإنس والجن ثقلين لاختصاصهما بكونهما قُطّان الأرض وبكونهما فضّلا بالتمييز على سائر الحيوان.

وفى هذه الأحاديث سيما قوله (ص): انظروا كيف تخلّفونى فيهما، واوصيكم بعترتى خيراً، وأذكركم الله فى أهل بيتى: الحث الأكيد على مودّتهم ومزيد الإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم وتأدية حقوقهم الواجبة والمندوبة، كيف وهم أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنّة النبوية، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلى وأهل بيته وعقيل وبنيه وبنى جعفر.

وفى قوله (ص): لا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم دليل على أن من تأهل منهم للمراتب العلية، والوظائف الدينية كان مقدما(۵۹) على غيره ويدل له التصريح بذلك فى كل قريش كما مر فى الأحاديث الواردة فيهم.

وإذا ثبت هذا الجملة قريش فأهل البيت النبوى الذين هم غرّة فضلهم ومحتد فخرهم والسبب فى تمييزهم على غيرهم بذلك أحرى وأحق وأولى(۶۰).

ويؤيد ذلك خبر مسلم: أنه (ص) خرج ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم الحسين فأدخله ثم فاطمة فأدخلها ثم على فدخله ثم قال: (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)(۶۱).

وفى رواية: اللهمّ هؤلاء أهل بيتى.

وفى أخرى: أنّ أم سلمة أرادت أن تدخل معهم فقال (ص) بعد منعه لها: أنت على خير.

وفى أخرى: أنها قالت: يا رسول الله وأنا؟ فقال: أنت من أهل البيت العام بدليل الرواية الأخرى، قالت: وأنا؟ قال: أنت من أهلى.

وكذا قال (ص) لواثلة لما قال: يا رسول الله وانا؟ فقال: أنت من أهلى.

وروى انه (ص) قال لعلى: سلمان من أهل البيت، وهو ناصح فاتّخذه لنفسك، فعدّه منهم باعتبار صدق صحبته وعظيم قربه وولائه.

وروى أحمد عن أبى سعيد الخدرى: أن الذين نزلت بهم الآية: النبى (ص) وعلى وفاطمة وابناهما.

وكذا اشتمل (ص) بملاءة على عمه العباس وبنيه وقال: يا رب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى(۶۲) فاسترهم من النار كسترى إياهم بملاءتى هذه فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين آمين.

وحديث مسلم اصح من هذا، وأهل البيت فيه غير أهله فى حديث العباس وبنيه المذكور لما مر: أن له إطلاقين: إطلاقاً بالمعنى الأعم، وهو ما يشتمل جميع الآل تارة والزوجات أخرى، ومن صدق فى ولائه ومحبته أخرى، وإطلاقاً بالمعنى الأخص، وهم من ذكروا فى خبر مسلم.

وقد صرح الحسن بذلك فإنه حين استخلف وثب عليه رجل من بنى أسد فطعنه وهو ساجد بخنجر لم يبلغ منه مبلغاً، ولذا عاش بعده

عشر سنين فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا فإنّا أُمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل البيت الذين قال الله عزّ وجل فيهم: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً)(۶۳) قالوا: ولأنتم؟ قال: نعم.

وأسند المحب الطبرى خبراً: استوصوا بأهل بيتى خيراً فإنى اخاصمكم عنهم غداً، ومن أكن خصمه أخصمه ومن أخصمه دخل النار.

وصح عن أبى بكر انه قال: أرقبوا محمداً أى احفظوا عهده ووده (ص) فى أهل بيته(۶۴).

الحث على حبهم (ع) والقيام بواجب حقهم

صح أنه (ص) قال: أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى.

وأخرج البيهقى وغيره: لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وتكون عترتى أحب إليه من عترته، وتكون ذاتى أحب إليه من ذاته.

وصح: أن العباس قال: يا رسول الله، ان قريشاً إذا لقى بعضهم بعضاً لقوهم ببشر حسن، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها، فغضب (ص) غضباً شديداً وقال: والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله.

وفى رواية لابن ماجة عن ابن عباس: كنا نلقى قريشاً وهم يتحدثون فيقطعون حديثهم، فذكرنا ذلك لرسول الله (ص) فقال: ما بال أقوام يتحدّثون فإذا رأوا الرجال من أهل بيتى قطعوا حديثهم؟ والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم منى.

وفى أُخرى عند أحمد وغيره: حتى يحبهم لله ولقرابتى.

وفى أخرى للطبرانى: جاء العباس رضى الله عنه إلى النبى (ص) فقال: إنك تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذى صنعت أى بقريش والعرب فقال (ص): لا يبلغ الخير أو قال الإيمان عبد حتى يحبكم لله ولقرابتى أترجو سهلب أى حى من مراد شفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب.

وفى أخرى للطبرانى أيضاً: يا بنى هاشم إنى قد سألت الله عز وجل لكم أن يجعلكم نجباء رحماء، وسألته أن يهدى ضالكم ويؤمن خائفكم ويشبع جائعكم، وإن العباس رضى الله عنه أتى النبى (ص) فقال: يا رسول الله إنى انتهيت إلى قوم يتحدثون فلما رأونى سكتوا، وما ذاك إلا أنهم يبغضونا، فقال (ص): أو قد فعلوها، والذى نفسى بيده لا يؤمن أحد حتى يحبكم لحبى أيرجون أن يدخلوا الجنة بشفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب.

وفى حديث: إنه (ص) خرج مغضباً فرقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: رجال يؤذونى فى أهل بيتى، والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحبنى ولا يحبنى حتى يحب ذوى.

وفى رواية للبيهقى وغيره: إن نسوة عيَّرن بنت أبى لهب بأبيها، فغضب (ص) واشتد غضبه فصعد المنبر ثم قال: أيها الناس ما لى أوذى فى أهلى؟ فوالله إن شفاعتى لتنال قرابتى.

وفى رواية: ما بال أقوام يؤذوننى فى نسبى وذوى رحمى؟ ألا ومن آذى نسبى ورحمى فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله.

وفى أخرى: ما بال رجال يؤذوننى فى قرابتى؟ ألا من آذى قرابتى فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله تبارك وتعالى.

وروى الطبرانى: إن أم هانى أخت على رضى الله عنه بدا قرطاها فقال لها عمر: إن محمد لا يغنى عنك من الله شيئاً، فجاءت إليه فأخبرته، فقال (ص): تزعمون أن شفاعتى لا تنال أهل بيتى وإن شفاعتى تنال صُداء وحكما أى وهما قبيلتان من عرب اليمن؟.

وروى البزاز: أن صفية عمة رسول الله (ص) توفى لها ابن فصاحت، فصبرها النبى (ص) فخرجت ساكتة، فقال لها عمر: صراخك، إن قرابتك من محمد (ص) لا تغنى عنك من الله شيئاً فبكت، فسمعها النبى (ص) وكان يكرمها ويحبها، فسألها فأخبرته بما قال عمر، فأمر بلالاً فنادى بالصلاة فصعد المنبر ثم قال: ما بال أقوام يزعمون قرابتى لا تنفع؟ كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا نسبى وسببى، فإنها موصولة فى الدنيا والآخرة(۶۵). (الحديث بطوله).

وصح أنه (ص) قال على المنبر: ما بال رجال يقولون: إن رحم رسول الله (ص) لا تنفع قومه يوم القيامة؟ والله إن رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة، وأنى أيها الناس فرطكم على الحوض.

وورد إنما سميت ابنتى فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار.

وأخرج أبو الفرج الأصبهانى: إن عبد الله بن الحسن بن على رضى الله عنه دخل يوماً على عمر بن عبد العزيز وهو حَدَث السن، وله وَفرة فرفع عمر مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه، ثم أخذ بعكنة من عكنه فغمزها حتى أوجعه، وقال: اذكرها عندك للشفاعة، فلما خرج ليم على ما فعل به فقال: حدثنى الثقة حتى كأنى أسمعه من رسول الله (ص): إنما فاطمة بضعة منى يسرنى ما يسرها وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرَّها ما فعلت بابنها، قالوا: فما غمزك بطنه وقولك ما قلت؟، فقال: إنه ليس أحد من بنى هاشم إلا وله شفاعة، ورجوت أن أكون فى شفاعة هذا.

وروى الطبرانى: أنه (ص) قال: ألزموا مودَّتنا أهل البيت فإنه من لقى الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا والذى نفسى بيده لا ينفع أحداً عمله إلا بمعرفة حقنا.

وأخرج الطبرانى: أنه (ص) قال لعلى كرم الله وجهه: أنت وشيعتك تردون على الحوض رواءً مرويين مبيضة وجوهكم وأن عدوّكم يردون علىّ ظماء مقمحين.

وفى رواية: إن الله قد غفر لشيعتك ولمحبى شيعتك.

وروى الترمذى: إنه (ص) قال: اللهم اغفر للعباس ولولده مغفرة ظاهرة وباطنة مغفرة لا تغادر ذنباً، اللهم اخلفه فى ولده، وكذا دعا (ص) بالمغفرة للأنصار ولأبنائهم وأبناء أبنائهم ولمن أحبهم.

وروى المحب الطبرى حديثاً: لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقى، ولا يبغضنا إلا منافق شقى.

وأخرج الديلمى: من أحب الله أحب القرآن، ومن أحب القرآن أحبنى، ومن أحبنى أحب أصحابى(۶۶) وقرابتى.

وحديث: أحبوا أهلى(۶۷) وأحبوا علياً فإن من أبغض أحداً من أهلى فقد حُرِّم شفاعتى.

وحديث: حب آل محمد يوماً خير من عبادة سنة.

وحديث: حبى وحب آل بيتى نافع فى سبع مواطن أهوالها عظيمة.

وحديث: معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب.

وحديث: أنا شجرة، وفاطمة حملها، وعلى لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، والمحبون أهل بيتى ورقها فى الجنة حقاً حقاً.

وحديث: إن أهل شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم من العيوب والذنوب، وجوههم كالقمر ليلة البدر.

وحديث: من مات على حب آل محمد مات شهيداً مغفوراً له تائباً مؤمناً مستكمل الإيمان يبشره ملك الموت بالجنة، ومنكر ونكير يزفانه إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، وفتح له بابان إلى الجنة ومات على السنة والجماعة.

ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله، أخرجه مبسوطاً الثعلبى فى تفسيره.

وحديث: من أحبنا بقلبه وأعاننا بيده ولسانه كنت أنا وهو فى عليين، ومن أحبنا بقلبه وأعاننا بلسانه وكف يده فهو فى الدرجة التى تليها، ومن أحبنا بقلبه وكف عنا لسانه ويده فهو فى الدرجة التى تليها.

وأخرج الطبرانى وأبو الشيخ حديثاً: إن لله عز وجل ثلاث حرمات، فمن حفظهن حفظ الله دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله دينه ولا دنياه، قلت: وماهذا؟ قال: حرمة الإسلام وحرمتى وحرمة رحمى.

وأخرج أبو الشيخ أيضاً والديلمى: من لم يعرف حق عترتى والأنصار والعرب(۶۸) فهو لإحدى ثلاث: إما منافق، وإما لزنية، وإما حملت به أمه فى غير طهر.

مشروعية الصلاة عليهم تبعاً للصلاة على مشرفهم (ص)

صح: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، الحديث.

وفى بقية الروايات: كيف نصلى عليك يا رسول الله؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد(۶۹) الحديث.

ويستفاد من الرواية الأولى أن أهل البيت من جملة الآل أو هم الآل، لكن صح ما يصرح بأنهم بنو هاشم والمطلب، وهم أعم من أهل البيت، ومر: أن أهل البيت قد يراد بهم الآل وأعم منهم.

ومنه حديث أبى داود: من سره أن يكتال بالمكيال الأ وفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل: اللهم صل على محمد النبى وأزواجه(۷۰) أمَّهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد.

وجاء عن واثلة قال: قال رسول الله (ص) لما جمع فاطمة وعلياً والحسن والحسين تحت ثوبه: اللهم قد جعلت صلاتك ومغفرتك ورحمتك ورضوانك على إبراهيم وآل إبراهيم إنهم منى وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك علىَّ وعليهم.

قال واثلة: وكنت واقفاً على الباب فقلت: وعلىّ بأبى أنت وأمى يا رسول الله، فقال: اللهم وعلى واثلة.

وأخرج الدارقطنى والبيهقى: من صلى صلاة ولم يصلِّ فيها علىِّ وعلى أهل بيتى لم تقبل منه(۷۱).

وكأن هذا الحديث مستند قول الشافعى: أن الصلاة على الآل من واجبات الصلاة كالصلاة عليه r، فمستنده الأمر فى الحديث المتفق عليه قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، والأمر للوجوب حقيقة على الأصح.

وبقى لهذه الأحاديث تتمات وطرق بيّنتها فى كتابى «الدر المنضود».

دعائه (ص) بالبركة فى هذا النسل المكرم

روى النسائى فى عمل اليوم والليلة، أن نفراً من الأنصار قالوا لعلى: لو كانت عندك فاطمة؟ فدخل على النبى (ص) يعنى ليخطبها، فسلم عليه فقال: ما حاجتك يا ابن أبى طالب؟ قال: ذكرت فاطمة بنت رسول الله (ص)، قال: مرحباً وأهلاً، لم يزده عليها، فخرج إلى الرهط من الأنصار وهم ينتظرونه، فقالوا: ما وراءك؟، قال: ما أدرى غير أنه قال لى: مرحباً وأهلاً، قالوا: يكفيك من رسول الله (ص) أحدهما قد أعطاك الأهل وأعطاك الرحب، فلما كان بعد ذلك بعدما زوجه قال: يا على لابد للعرس من وليمة.

قال سعد: عندى كبش، وجمع له رهطاً من الأنصار، أصوعاً من ذرة(۷۲)، قال: فلما كان ليلة البناء، قال: لا تحدث شيئاً حتى تلقانى، فدعا (ص) بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على علىّ وفاطمة وقال: اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما فى نسلهما.

ورواه آخرون مع حذف بعضه.

بشارتهم (ع) بالجنة

مر فى الباب الثانى عدة أحاديث فى أن لهم منه (ص) شفاعة مخصوصة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله (ص): إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذرّيتها على النار.

أخرجه تمام فى فوائده والبزاز والطبرانى بلفظ: فحرمها الله وذريتها على النار.

وجاء عن على قال: شكوت إلى رسول الله (ص) حسداً فى الناس فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا(۷۳) عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا.

وفى رواية: إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرارينا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا.

وروى ابن السدى والديلمى فى مسنده: نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة: أنا وحمزة وعلى وجعفر ابنا أبى طالب والحسن والحسين والمهدى.

وصح أنه (ص) قال: وعدنى ربى فى أهل بيتى من أقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ أن لا يعذبهم.

وجاء بسند رواته ثقات: أنه (ص) قال لفاطمة: إن الله غير معذبك ولا ولدك.

وروى المحب الطبرى والديلمى وولده بلا إسناد حديث: سألت ربى أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتى فأعطانى ذلك.

وروى المحب عن على قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: اللهم إنهم عترة رسولك فهب مسيئهم لمحسنهم وهبهم لى ففعل، قلت: ما فعل؟ قال: فعله ربكم بكم ويفعله بمن بعدكم.

وفى حديث: يا على إن الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبى شيعتك فأبشر فإنك الأنزع البطين.

وروى أحمد: أنه (ص) قال: يا معشر بنى هاشم والذى بعثنى بالحق نبياً لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم.

وفى حديث: أول من يرد على حوضى أهل بيتى ومن أحبنى من أمتى.

وصح: أول الناس يرد على الحوض فقراء المهاجرين الشعث.

وأخرج الطبرانى والدارقطنى وغيرهما: أول من أشفع له من أمتى أهل بيتى الأقرب فالأقرب، ثم الأنصار ثم من آمن بى واتبعنى ثم اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم.

وفى رواية للبزاز والطبرانى وابن شاهين وغيرهم: أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف.

الأمان ببقائهم (ع)

أخرج جماعة خبر: النجوم أمان السماء وأهل بيتى أمان لأُمتى.

وفى رواية لأحمد وغيره: النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتى أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتى ذهب أهل الأرض.

وصح: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتى أمان لأُمتى من الاختلاف(۷۴) أى المؤدى لاستئصال الأُمة فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس.

وجاء من طرق كثيرة يقوى بعضها بعضاً: مثل أهل بيتى وفى رواية: إنما مثل أهل بيتى، وفى أخرى: أن مثل أهل بيتى، وفى رواية: ألا إن مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح فى قومه، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق(۷۵).

وفى رواية: من ركبها سلم ومن تركها غرق، وإن مثل أهل بيتى فيكم مثل باب حطة فى بنى إسرائيل من دخله غفر له.

وجاء عن الحسين: من أطاع الله من ولدى واتبع كتاب الله وجبت طاعته، وعن ولده زين العابدين: إنما شيعتنا من أطاع الله وعمل مثل أعمالنا.

وعن المحب الطبرى لأبى معيد فى شرف النبوة بلا إسناد حديث: أنا وأهل بيتى شجرة فى الجنة وأغصانها فى الدنيا، فمن تمسك بها إتخذ إلى ربه سبيلا.

وأورد أيضاً بلا إسناد حديث: فى كل خلف من أمتى عدول من أهل بيتى، ينفون عن هذا الدين(۷۶) تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، الحديث.

وأشهر منهم الحديث المشهور: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه ... إلى آخره.

خصوصياتهم الدالة على عظيم كراماتهم (ع)

وجاء من طرق بعضها رجاله موثقون أنه (ص) قال: كل سبب ونسب منقطع، وفى رواية: ينقطع يوم القيامة إلا وفى رواية ما خلا سببى ونسبى يوم القيامة، وكل ولد أُم وفى رواية وكل ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإنى أنا أبوهم وعصبتهم.

وفى رواية: لكل بنى أم عصبة ينتمون إليه إلا ولد فاطمة، فأنا وليهم وعصبتهم.

وفى رواية: فأنا أبوهم وأنا عصبتهم.

وجاء من طرق يقوى بعضها بعضاً: إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبى فى صلبه وأن الله تعالى جعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب.

وفى هذه الأحاديث دليل ظاهر لما قاله جمع من محققى أئمتنا أن من خصائصه (ص) أن أولاد بناته ينسبون إليه فى الكفاءة وغيرها أى حتى لا يكافىء بنت شريف ابن هاشمى غير شريف وأولاد بنات غيره إنما لينسبون لآبائهم لا إلى آباء أُمهاتهم.

وفى البخارى: إنه (ص) قال على المنبر وهو ينظر للناس مرة وللحسن مرة: إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمن(۷۷).

قال البيهقى: وقد سماه النبى (ص) ابنه حين ولد وسمى اخوته بذلك.

وعن الحسن بسند حسن: كنت مع النبى (ص) فمر على جرين من تمر الصدقة فأخذت منه تمرة فألقيتها فى فىّ، فأخذها بلعابها ثم قال: إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة.

وأخرج أبو داوود والنسائى وابن ماجة وآخرون خبر: المهدى (۷۸) من عترتى من ولد فاطمة.

وفى أخرى لأحمد وغيره: المهدى منا أهل البيت يصلحه الله فى ليلة(۷۹).

وفى أخرى للطبرانى: المهدى منا يختم الدين بنا كما فتح.

وروى أبو داود فى سننه عن على كرم الله وجهه أنه نظر إلى ابنه الحسين فقال: إن ابنى هذا سيد كما سماه النبى (ص)، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه فى الخلق ولا يشبهه فى الخلق، يملأ الأرض عدلاً.

وفى رواية: إن عيسى (ع) يصلى خلفه.

وأخرج الطبرانى والخطيب حديث: يقوم الرجل لأخيه عن مقعده إلا بنى هاشم فإنهم لا يقومون لأحد.

وجاء عن ابن عباس أنه قال: نحن أهل البيت شجرة النبوة ومختلف الملائكة وأهل بيت الرسالة، وأهل بيت الرحمة ومعدن العلم.

أيضاً قال: نحن النجباء وأفراطنا أفراط الأنبياء وحزبنا حزب الله عز وجل، والفئة الباغية حزب الشيطان، ومن سوّى بيننا وبين عدونا فليس منّا.

إكرام الصحابة ومن بعدهم، لأهل البيت (ع)

صح عن أبى كبر أنه قال لعلى كرم الله وجهه: والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله (ص) أحب إلى أن أصل من قرابتى.

وحلف عمر للعباس أن إسلامه أحب إليه من إسلام أبيه لو أسلم، لأن إسلام العباس أحب إلى رسول الله (ص).

وأتى عبد الله بن حسن بن حسين عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال له: إذا كانت لك حاجة فأرسل أو اكتب بها إلى فإنى أستحى من الله أن يراك على بابى.

وقال أبو بكر بن عياش: لو أتانى أبو بكر وعمر وعلى فى حاجة لبدأت بحاجة على قبلهما لقرابته من رسول الله (ص) ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلى من أن أُقدمهما عليه.

ودخلت فاطمة بنت على على عمر بن عبد العزيز، وهو أمير المدينة، فبالغ فى إكرامها وقال: والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلى منكم ولأنتم أحب إلى من أهلى.

وعوتب أحمد فى تقريبه لشيعى فقال: سبحان الله رجل أحب قوماً من أهل بيت النبى (ص) وهو ثقة، وكان إذا جاء شريف بل قرشى قدمه وخرج وراءه.

وقال رجل للباقر وهو بفناء الكعبة: هل رأيت الله حيث عبدته؟ فقال: ما كنت أعبد شيئاً لم أره، قال: وكيف رأيته؟ قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان.

وزاد على ذلك ما أبهر السامعين، فقال الرجل: (الله أعلم حيث يجعل رسالته)(۸۰).

وقارف الزهرى ذنباً فهام على وجهه فقال له زين العابدين: قنوطك من رحمة الله التى وسعت كل شىء أعظم عليك من ذنبك، فقال الزهرى: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) فرجع إلى أهله وماله.

وكان هشام بن إسماعيل يؤذى زين العابدين وأهل بيته وينال من على، فعزله الوليد وأوقفه للناس وكان أخوف ما عليه أهل البيت، فمر عليهم فلم يتعرض له أحد منهم فنادى: (الله أعلم حيث يجعل رسالته).

مكافأته (ص) لمن أحسن إليهم (ع)

أخرج الطبرانى حديث: من صنع إلى أحد من ولد عبد المطلب يداً فلم يكافئه بها فى الدنيا فعلى مكافأته غداً إذا لقينى.

وجاء بسند ضعيف: أربعة أنا لهم مشفع يوم القيامة: المكرم لذريتى، والقاضى لهم حوائجهم، والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه.

وفى رواية من اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها إذا لقينى يوم القيامة، وحرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عترتى.

إشارته (ص) بما حصل لهم (ع) من الشدة بعده

قال (ص): إن أهل بيتى سيلقون بعدى من أمتى قتلاً وتشريداً، وإن أشد قومنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم، وصححه الحاكم.

وأخرج ابن ماجة: أنه (ص) رأى فتية من بنى هاشم فاغرورقت عيناه فسئل فقال: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتى سيلقون بعدى بلاءاً وتشريداً وتطريداً، الحديث.

وأخرج ابن عساكر: إن أول الناس هلاكاً قريش وأول قريش هلاكاً أهل بيتى.

وفى رواية: فما بقاء الناس بعدهم؟ قال بقاء الحمار إذا كسر صلبه(۸۱).

التحذير من بغضهم وسبهم (ع)

مر خبر: من أبغض أحداً من أهل بيتى حرم شفاعتى.

وحديث: لا يبغضنا إلا منافق شقى.

وحديث: من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله.

وقال الحسن: من عادانا فلرسول الله (ص) عادى.

وصح: أنه (ص) قال: والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار.

وروى أحمد وغيره: من أبغض أهل البيت فهو منافق(۸۲).

وفى رواية: بغض بنى هاشم نفاق.

وجاء عن الحسن: إياك وبغضنا، فإن رسول الله (ص) قال: لا يبغضنا ويحسدنا أحد إلا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من النار.

وفى رواية: من أبغضنا أهل البيت حشره الله يهودياً وإن شهد أن لا إله إلا الله.

وصح أنه قال (ص): يا بنى عبد المطلب إنى سألت الله لكم ثلاثاً: أن يثبت قائمكم، وأن يهدى ضالّكم، وأن يعلم جاهلكم، وسألت الله أن يجعلكم كرماء نجباء رحماء، فلو أن رجلاً صفن أى من الصفن وهو صف القدمين بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقى الله وهو يبغض آل بيت محمد (ص) دخل النار.

وورد: من سبَّ أهل بيتى فإنما يرتد عن الله والإسلام، ومن آذانى فى عترتى فعليه لعنة الله، ومن آذانى فى عترتى فقد آذى الله، إن الله حرم الجنة على من ظلم أهل بيتى أو قاتلهم أو أعان عليهم أو سبّهم، يا أيها الناس إن قريشاً أهل أمانة فمن بغاهم العواثر كبه الله عز وجل لمنخريه مرتين، من يرد هوان قريش أهانه الله، خمسة أو ستَّة لعنتهم، وكل نبى مجاب: الزائد فى كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمستحل محارم الله، والمستحل من عترتى ما حرم الله، والتارك لل سنة.

هذا آخر ما أردنا ذكره من كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر، من فضائل آل الرسول صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

فالمرجو من فضله سبحانه أن يوفقنا لخدمة أهل البيت وحبهم، وأن يرزقنا شفاعتهم، وأن يتفضل على السيدين الأجلين السيد شرف الدين «قدس سره» والسيد المرتضى اللذين كانا السبب فى هذا الاستخلاص، من فضله وواسع بره وعطفه وهو المستعان.

كربلاء المقدسة

محمد بن المهدى الحسينى الشيرازى

۱ يقول الله تعالى بالنسبة إلى أزواج النبى (ص): (فإن الله أعدّ للمحسنات منكنّ أجراً عظيماً) «الأحزاب: ۲۹» ولم يعد الأجر العظيم لجميعهن.

الحاشية

۲ يقول الله تعالى بالنسبة إلى أزواج النبى (ص): (فإنّ الله أعدّ للمحسنات منكنّ أجراً عظيماً) «الأحزاب: ۲۹» ولم يعد الأجر العظيم لجميعهنّ.

۳ وقد تقدّم أن المراد الصالحين من الأصحاب لقوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيماً) «الفتح: ۲۹».

۴ كفى هذا الحديث مقياساً ومعياراً لمعرفة من سالم رسول الله(ص) فى أهل بيته من بعده، ومن حارب رسول الله(ص) فى أهل بيته من بعده.

۵ لقد سجّل التاريخ غضب فاطمة (ع) على من ابتزّها نحلة أبيها وبلغة ابنيها: الحسن والحسين (ع)، حتّى أنها (ع) أوصت أن لا يحضروا تشييعها والصلاة عليها.

۶ من الواضح أنّ ما جاء عن الرسول (ص) من التوصية فى حق قريش كان مراده (ص) من قريش: أهل بيته خاصّة الذين نزلت آية التطهير فى حقّهم، وشهدت لهم بالعصمة والطهارة، وارتضاهم الله تعالى خلفاء فى أرضه من بعد رسوله (ص) حيث قال تعالى: (إنَّما وليُّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون). «المائدة: ۵۵».

۷ هذا الحديث لا يشمله ما أشرنا إليه من التوضيح فى الحديث الخامس والعشرين، وعدم شموله واضح، لأنه إذا كان فى أمر الخلافة فلا معنى لأن يكون كافرهم تبعاً لكافرهم، إذ لا خلافة للكافر، فهو إذن فى غير هذا الأمر.

۸ و ۹ و ۱۰ عرفت أن أمر الخلافة والإمامة للحصر الموجود فى الآية الكريمة: (إنَّما وليُّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) «المائدة: ۵۵» مختصّة بعلى (ع) والأئمة الأحد عشر من بنيه وهم عليهم السلام معصومون من

الـذنوب والمعاصـى، مطهَّرون من كلِّ رجس ونقص، لشـهادة آية التطهير بذلك فى حقهم: (إنَّما يريدُ الله ليُذهِب عنكم الرِّجْسَ أهلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطهيراً) «الأحزاب: ۳۳» فالمعصية بعيدة عن ساحة أهل البيت (ع).

۱۱ هـذا الحـديث يعضد ما صحّ عن رسول الله (ص): بأنّ عدد أوصـيائى من بعدى عدد نقباء بنى إسـرائيل، وكانوا اثنى عشـر، وهو لا ينطبق إلّا على أهل البيت: علىّ والأحد عشر من بنيه (ع).

۱۲ المقصود من قريش هنـا هم أهـل البيت (ع) خاصّـة، لأنهم هم الـذين أُعطوا ما لم يعط أحـد من الناس، فهل أحـد أُعطى العصـمة والطهارة غيرهم؟

۱۳ حصرت الآية الكريمة الإمرة والخلافة بعد رسول الله (ص) فى أهل البيت الذين عصمهم الله من الفجور، فلا معنى لإمارة الفجّار.

۱۴ بل سيّدة نساء العالمين.

۱۵ فى الصحيح: أنّ مريم بنت عمران سيّدة نساء عالمها، وفاطمة (ع) سيّدة نساء العالَمين من الأوّلين والآخرين، وهو يقتضى أن تكون (ع) سـيّدة نساء أهل الجنّة بلا اسـتثناء، كما مرّ فى الحديث الخامس عشـر من الفصل الثانى عن رسول الله (ص): بأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، وليس فيه استثناء، ويأتى أيضاً فى الحديث الثانى عشر من هذا الفصل أيضاً بلا استثناء.

۱۶ التغابن: ۱۵.

۱۷ وصف الكتـاب العزيز الحسن والحسـين (ع) بأنهما أبناء رسول الله (ص) وذلك فى آيـة المباهلـة: (وأبناءَنا وأبناءَكم) «آل عمران: ۶۱» ومرّت أحاديث فى الفصل الثانى تؤكّد وتصـرّح بذلك، فلا ينبغى إلّا التسوية بينهما (ع) بأنّهما أبناء الرسول من صـلب على (ع)، إضافة إلى ما سيأتى فى الحديث الثالث والعشرين من هذا الفصل، فإنّ فيه مزيد بيان لما قلناه.

۱۸ الصـحيح هو ما مرّ من الأحاديث فى هذا الفصل القائلة بأنهما (ع) سـيّدا شـباب أهل الجنّة بلا اسـتثناء، وكذلك بالنسـبة إلى أمّهما فاطمة (ع).

۱۹ مضت الإشارة إلى ما فيه، وذلك فى الحديث الثامن عشر.

۲۰ مرّ فى الفصل الثانى من فضائل الحسن (ع) وفى الحديث الثانى منه توضيح لذلك، فليراجع.

۲۱ الدم العبيط: الطرى غير النضيج.

۲۲ وكيف بقلبه (ص) وهو يرى ما جرى على أهل بيته من على وفاطمة والحسن (ع)؟

۲۳ أى: لم يصـله (ع) خـبر مـا جرى على مسـلم، وإلاّ ـ فقـد سـبق فى الحـديث ۲۸ و۲۹ و۳۰ من هـذا الفصـل، بـأنّ جبرائيل وغيره من الملائكة المقرّبين أخبروا رسول الله (ص) بواقعة الطف وكل جزئياتها، وهو(ص) أخبر بها أهل بيته وذويه عامة، والحسين (ع) خاصّة.

۲۴ إن صـحّ الخبر فهو همّ ظـاهرى لاختبـار أصـحابه، وشـدّ عزمهم على الشـهادة، وإلاّ فهو(ع) كان على بصـيرة من أمره، مصـمّماً فى عزمه، موطّناً نفسه على لقاء الله تعالى بالشهادة فى سبيله.

۲۵ ليس العجب من يزيد أليس هو الذى كان فى حين ضربه ثنايا أبى عبد الله الحسين (ع) يردّده شعر ابن الربعرى ويقول:

ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

فأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحى نزل

لست من خندف إن لم أنتقم من بنى أحمد ما كان فعل!!

۲۶ فى الصحيح: أنّ الإمام زين العابدين على بن الحسين (ع) ألحق الرأس الشريف بالجسد الطاهر ودفنه معه فى كربلاء.

۲۷ إبراهيم: ۴۲. ۲۸ الشعراء: ۲۲۷.

۲۹ الإمام زين العابدين (ع) وكذلك جميع أئمّة أهل البيت الإثنى عشر (ع) ورثوا علم هذه الأمور عن جدّهم رسول الله (ص) وهو عن جبريل عن الله تعالى.

۳۰ الأعراف: ۱۹۹. ۳۱ وهو الصحيح.

۳۲ و ۳۳ قلنا: إن أئمة أهل البيت الإثنى عشر (ع) قد ورثوا علم هذه الأمور عن جدّهم رسول الله (ص)، وهو عن جبريل وجبريل عن الله تبارك وتعالى.

۳۴ الأنعام: ۸۴. ۳۵ الأنعام: ۸۵. ۳۶ آل عمران: ۶۱.

۳۷ الحجرات: ۱۲. ۳۸ طه: ۸۲. ۳۹ سورة محمد: ۲۲.

۴۰ وذلك عبر السم الذى أمر به هارون السندى أن يدسّه إليه فى طعامه أو فى رطب كما مرّ قبل أسطر.

۴۱ تفويض أمر الخلافة ما كان خالصاً لله تعالى، وإنما كان يترصّد المأمون من خلالها أهدافاً سياسية، وأغراضاً شخصية، ولذلك لما لم ينل ما استهدفه من خطته قضى على حياة الإمام الرضا (ع) بدسّ السم إليه، وذلك فى قضية مفصّلة يرجع لمعرفتها إلى مظانّها.

۴۲ إن المأمون أظهر الأسف على ذلك، ولكنه فى الواقع هو الذى سمّه عبر العنب والرمّان المسمومَيْن.

۴۳ هذا الحديث يعضد ما تقدم فى بعض التعليقات: من إن علم أئمة البيت عليهم السلام قد ورثوه عن آبائهم عن رسول الله (ص) قد ورثوه عن آبائهم عن رسول الله (ص)، وهو عن جبريل، وجبريل عن الله تبارك وتعالى.

۴۴ وهو الصحيح فإن المأمون كما عرفت هو الذى سم الإمام الرضا (ع).

۴۵ وهو الصحيح، فقد سمه المعتصم العباسى عبر زوجته أم الفضل بنت المأمون.

۴۶ الأنعام: ۱۲۴. ۴۷ نعم: قضى مسموماً على يد المعتمد العباسى.

۴۸ بل الصحيح: أنه يقال لكل منهما العسكرى حتى عرفا بالعسكريين.

۴۹ المؤمنون: ۱۱۵.

۵۰ الصحيح: إنه (ع) مات مسموماً على إثر السم الذى دسه إليه المعتمد العباسى.

۵۱ إن أحاديث هذا الفصل وهو الفصل الثالث الذى يشتمل على ثلاثين حديثاً مما ينبغى التوقف عنده قليلاً، والتروى فيه، وخاصة الحديث الثلاثون الذى فيه تفصيل عن الإمام الحسين (ع) وعن الأئمة المعصومين التسعة من ذرية الحسين (ع)، حيث جاء فيه، وهو يصف كل واحد منهم: بأنه خلَّف أباه علماً وزهداً وعبادة، أو: كان خليفته ووصيه، أو: وارثه علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً، أو: أتاه الله الحكمة كما فى حق الحجة، وأنه يسمى القائم المنتظر، وأمثال ذلك مما ينبئ عن الإعتراف بفضلهم الشامخ، وتفوقهم الكبير من بين الأمة، ومن حسن الحظ، وإتمام الحجة على الأمة: إن هؤلاء المعصومين التسعة من ذرية الحسين (ع) هم الذين نص عليهم الرسول (ص) بأسمائهم وأسماء آبائهم وألقابهم، وعرّفهم بأنهم ولاة الأمر بعد أبيهم الحسين (ع)، والحسين بعد أخيه الحسن (ع)، والحسن بعد ابيه على (ع)، وعلى بعد الرسول (ص)، فتكمل عدتهم اثنا عشر إماماً ووصياً كما فى المأثور عند الفريقين: من إن عدد الأوصياء عدد نقباء بنى إسرائيل، وإذا تم اتفاق الجميع على الاعتراف بفضلهم، فما يضر لو اتفق الجميع على الاعتراف بما أنزل الله تعالى فيهم وبلغه رسوله (ص) فى حقهم: من إنهم ولاة الأمر من بعده؟.

۵۲ و ۵۳ فاعفوا، أو وتجاوزوا عن مسيئهم، لا يشمل أهل بيت رسول الله (ص)، لما عرفت من نزول آية التطهير فى حقّهم.

۵۴ الشورى: ۲۳.

۵۵ لقد قرن رسول الله (ص) أهل بيته بكتاب الله العزيز، وجعلهم عدلاً له، وفيه إشارة بليغة إلى أن لأهل البيت (ع) عند الله ورسوله مقاماً كبيراً يضاهى مقام القرآن عند الله ورسوله، والى أنه كما يجب اطاعة الكتاب العزيز واتّباع أحكامه كذلك يجب إطاعة أهل البيت واتّباعهم، والى انه كما يحرم التقدّم على الكتاب العزيز وهجره، يحرم التقدّم على أهل البيت وهجرهم، والى انه كما يكون فى

اتباع القرآن: الهداية والسعادة والنور، كذلك يكون فى اتباعهم (ع)، وإلى انه كما يكون فى التخلّف عن الكتاب: الضلال والشقاء فكذلك يكون التخلّف عنهم (ع) ويؤكّد كلّ ذلك قوله (ص): (ولن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض) ولن كما فى اللغة لنفى الأبد، أى من المستحيل أن ينفك القرآن عن أهل البيت، أو ينفك أهل البيت عن القرآن، فلم يكن لمسلم التفكيك بينهما باتباع أحدهما دون الآخر، أو الإستغناء بأحدهما عن الآخر.

۵۶ لكن قد عرفت: انّ الكتاب العزيز هو الّذى عرّف أهل بيت رسول الله (ص) فى آية التطهير وهم خمسة: النبى (ص) وعلى، وفاطمة، والحسن، والحسين (ع)، ونصّ الرسول (ص) على تسعة من ذرّيّة الحسين كما مرّ عليك ذكرهم فى الفصل الثالث من الأحاديث الواردة فى أهل البيت من هذا الكتاب.

۵۷ يعنى: انّ هذا الحديث لكثرة طرقه أصبح متواتراً يورث العلم والاطمينان بصحّته، فلا يحقّ لاحد التشكيك فيه، وهو كاف فى بيان وجوب التمسك بالكتاب وبأهل البيت معاً وحرمة التخلّف عنهما أو عن احدهما.

۵۸ المزمّل: ۵.

۵۹ و ۶۰ هذا تصريح بما يحكم به العقل السليم، وتقتضيه الفطرة الصحيحة، وهو: تقديم الفاضل على المفضول وقد قال تعالى من قبل: (أفمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع، أمّن لا يهدى إلّا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون)؟ يونس: ۳۵.

۶۱ الاحزاب: ۳۳.

۶۲ مضى مكرّراً: أن أهل البيت الذين شملتهم آية التطهير هم: النبى (ص) وعلى، وفاطمة، والحسن والحسين، والتسعة المعصومون من ذرّيّة الحسين (ع) كما مرّت أسماؤهم وصفاتهم قبل هذا الفصل.

۶۳ الأحزاب: ۳۳.

۶۴ وهل كان من حفظ عهده وودّه (ص) فى أهل بيته أن ارتكبوا فى حقهم ما ارتكبوا حتى خاطبتهم بنت نبيّهم فاطمة (ع) بقولها فى خطبتها المعروفة ...: (فلمّا اختار الله لنبيّه (ص) دار أنبيائه، ظهر فيكم حسكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلّين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر فى عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه، هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر). ... نعم، هذا والعهد قريب.. والرسول بعد لم يقبر؟؟

۶۵ فيا ترى ما كان يصنع رسول الله (ص) لو كان يسمع بكاء حبيبته وبضعته من بعده!

۶۶ و ۶۷ قد عرفت: أن الكتاب العزيز عندما وصف الأصحاب والأزواج ووصل إلى وعدهم المغفرة والأجر العظيم، جاء بلفظة: (منهم) الفتح: ۲۹، و: (منهن) الأحزاب: ۲۹، مما يشير إلى أن مراد الرسول (ص) من حب الأصحاب والأزواج هو ما عناه القرآن، وليس عامتهم.

۶۸ ليس فى الصحيح: والأنصار والعرب، بل العترة فقط، لأن القرآن الكريم بعد الشهادة بالطهارة لعترة النبى وأهل بيته (صلوات الله عليه وعليهم) من بين الناس قال: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات: ۱۳، فجعل الحق والتفاضل بالتقوى.

۶۹ وقد مر فى الفصل الأول فى الآية الثانية من الآيات الواردة فيهم (ع): أنه (ص) قال: لا تصلوا علىَّ الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون: اللهم صلِّ على محمد وتمسكون بل قولوا: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد.

۷۰ مرت الإشارة إلى أن المراد الصالحات منهن وذلك لدلالة (منهن) فى سورة الأحزاب ۲۹.

۷۱ ومن أجله قال الشافعى كما مر فى الفصل الأول:

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله فى القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

۷۲ مر الحديث ومرت الإشارة إلى أن الأنصار جاءوا بأصوع من البر وليس الذرة، وذلك هدية.

۷۳ مر كثيراً القول: بأن المراد الصالحات منهن، وذلك لمكان (منهن) فى سورة الاحزاب الاية ۲۹.

۷۴ وهذا يشير بصراحة إلى ما جاء فى أهل البيت (ع) من قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) آل عمران: ۱۰۳، حيث جعل تعالى الاعتصام بهم أماناً من الفرقة والاختلاف بعد أن وصفهم بأنهم حبل الله فى الأرض.

۷۵ وهل يا ترى هناك تمثيل أبلغ من هذا؟ فإنه كما يخسر الإنسان نفسه ويغرق فى البحر إذا تخلف عن السفينة، فكذلك يخسر دينه ودنياه إذا تخلف عن هدى أهل البيت (ع) والتمسك بولايتهم.

۷۶ وفى هذا إشارة إلى إمامة الأئمة الإثنى عشر من أهل البيت (ع) الذين مر ذكرهم بأسمائهم وألقابهم فى الفصل السابق من هذا الكتاب.

۷۷ هذا الحديث له توضيح مر التعرض له فى الحديث الثانى من الفصل الثانى فى فضائل الحسن (ع).

۷۸ و ۷۹ المهدى هو الإمام الثانى عشر، واسمه واسم أبيه كما مر عليك فى الفصل السابق من هذا الكتاب: «محمد بن الحسن» (ع) الملقب «بالحجة»، والمهدى أيضاً من ألقابه (ع)، وهو البقية الباقية من أهل البيت (ع) وقد مد الله تعالى فى عمره ليكون أماناً لأهل الأرض كما جاء فى رواية أحمد أوائل باب (الأمان ببقائهم عليهم السلام)، ثم يصلح الله تعالى أمر ظهوره فى ليلة، فيظهر لإنجاز وعد الله تبارك وتعالى حيث قال: (ليظهره على الدين كله) الصف: ۹، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بتطبيق الإسلام وأحكام القرآن على كل الأرض بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً.

۸۰ الأنعام: ۱۲۴.

۸۱ فى هذا التمثيل براعة من جهتين:

أ - إن مكسور الصلب يصبح شللاً فلا يمكنه التقدم والرقى.

ب - إن مكسور الصلب من الحيوانات يصبح فريسة لسباع الوحش والطير وهكذا أصبح مثل الأمة لما خذلوا أهل البيت (ع).

۸۲ وقال الله تعالى فى كتابه العزيز (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً).

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آبادى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و

عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى

بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم - إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹